جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللّغة والأدب العربي

عنوان المذكّرة:

المثل الشعبي القبائلي بين السياق والحجاج
مقاربة تداولية

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عرب فرع: أدب جزائري

إعداد الطالبين:

–صورية بعزيزي. –وليد أيت عبد الوهاب

أعضاء المناقشة: .

– **الدكتورة : نوارة بوعياد.....رئيسا.**

_ الأستاذ:حسين خالفي.....مشرفا و مقررا.

_ الأستاذ: آية الله عشوري.....مناقشا.

تاريخ المناقشة:.....

السّنة الجامعية 2013/2012

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الذي يرفل في ثوب من سندس واستبرق في الجنة آمين. أبي رحمه الله.

إلى التي زرعت في قلبي الحنان وبعثت في نفسي الأمان، راجية من الله عزوجل أن يحفظها لي وأن يباركها أمي مقدودة.

إلى أخواتي سعيدة وزوجها مخلوف وأولادها،عثيقة وزوجها جمال.

إلى إخواتيا الأعزاء طيب وزوجته كريمة وأولاده حليمة، لخضر ، رشيد وزوجته وأولاده، مصطفى وزوجته وإبنته ، عبد الله وزوجته وإبنه ،إلى عثمان.

إلى زينة البنين مولود ؛ أحسن.

صورية

إهداء

- أهدي عملي المتواضع إلى روح جدي الغالي وجدتي التي تصارع المرض ودعائي لها بالشفاء العاجل.

- إلى أبي الغالي بلقاسم والى أمي العزيزة فتيحة.

-إلى إخوتي وإخواني

-إلى توأم روحي

-إلى زملائي وأصدقائي الأعزاء دون ذكر الأسماء

-إلى كل من كان لي سندا و عونا لي في هذا العمل.

وليد

كلمة شكر

نقدم شكرنا الجزيل للأستاذ المشرف
خالفي حسين الذي لم يبخل علينا بشيء، وكان الموجه والمرشد في عملنا هذا كما نتقدم إلى كل من مد لنا يد العون لإتمام هذا البحث، كما نقدم الشكر الجزيل إلى أعضاء المناقشة لتجشمهم عناء و مشقة قراءة البحث و إسداء الرأي حوله.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اجعل خير أعمالنا

خواتمها واجعل هذا العمل

البسيط ثمرة علم ينتفع به

مقدمة

مقدمة:

لقد ساعد ظهور الاتجاهات والمقاربات النقدية الحديثة، التي أطلقتها الثورة الأدبية منذ بدايتها إلى يومنا هذا، في دراسة واستنطاق النص الشعبي وتحليل معانيه وكشف خباياه، وعلى ضوء هذه المناهج يستطيع الناقد أن يتحكم في دراسته لمختلف الأعمال الإبداعية، والذي يسمح بدراسة النص بطريقة علمية، تحكمها شروط وقوانين يقرها المنهج الذي تم الاعتماد عليه.

ومن بين هذه المناهج الحديثة التي اهتمت بالخطاب الشعبي، نجد المنهج التداولي، الذي اعتمدناه في بحثنا الموسوم بـ:"المثل الشعبي القبائلي بين السياق والحجاج"، وهذا لكونه متعلقا باستراتيجيات الخطاب الحجاجي، الذي يعد ركيزة أساسية في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين "المتكلم" و"المتلقي"، ونجده يتضمن كل وسائل الإقناع والإثارة والتحاور، لاسيما في الأمثال الشعبية القبائلية.

وقد تمكنت الدراسات التداولية من إخراج النص من عزلته التي وضعته فيه المناهج البنوية، وجعلته نتاج تفاعل مستمر مع عوامل السياق، وبذلك بفحص العلاقة بين المتكلم والمخاطب في مقام استعمالي بعينه.

وقد يتساءل المطلع على هذا البحث حول إدراجنا لكلا من "الحجاج" و"السياق"، إلا أن السبب يعود إلى أن هذه الدراسة تنطلق لمحاولة الكشف عن سياق المثل الشعبي القبائلي، ومدى موافقته للمقتضيات الحال أو المقام (السياق)، ثم البحث عن الآليات الحجاجية التي يتوسلها المثل، بما أن البحث عبارة عن دراسة للأمثال القبائلية، تركز النظر إلى حجاجية المثل الشعبي، وتوسله للأدوات الحجاجية الكفيلة بإحداث عملية التواصل والإقناع بين طرفي المعادلة التواصلية (المتكلم، المتلقي)، والعلاقة التي تربط بينهما في السياق تواصلي محدد.

وعليه فالإشكالية سوف تكون عبارة عن تساؤل حول: **ما هو السياق المؤطر للعملية التواصلية للمثل؟ وما هي الأدوات الحجاجية (الاقناعية) التي يتوسلها المثل الشعبي القبائلي؟.**

واقتضت طبيعة البحث تقسيم الموضوع إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول الموسوم ب: **القيمة التداولية للمثل الشعبي القبائلي**، حيث تناولنا فيه مختلف تعريفات المثل الشعبي وخصائصه، ثم تعرضنا إلى القيمة التداولية للمثل الشعبي القبائلي.

وتناولنا في الفصل الثاني الذي يحمل عنوان: **التداولية وسياق المثل الشعبي القبائلي**، الجوانب النظرية للمنهج التداولي، وقمنا بتوضيح مفاهيم هذا المنهج، كما تطرقنا إلى السياق كآلية للتحليل نصوص المدونة، بغية التعريف بها على أكمل وجه.

أما الفصل الثالث فقد تطرقنا فيه إلى المسار التاريخي للحجاج والآليات الحجاجية في المثل الشعبي القبائلي، وعنونا هذا الفصل ب: **آليات الحجاج في المثل الشعبي القبائلي.**

وتجدر الإشارة إلى أننا قمنا بمزج الجوانب النظرية بالجوانب التطبيقية، حيث مثلنا مباشرة بنصوص تلك الأمثال الشعبية القبائلية.

وألحقنا هذا الفصل بملحق قمنا فيه بالتعريف بالمنطقة (منطقة القبائل)، التي تتداول فيها تلك الأمثال، كما قمنا بجمع المدونة وتصنيفها، و لشرح نصوص تلك الأمثال قمنا بترجمتها إلى اللغة العربية الفصيحة، وذكرنا مقابلاتها في الأمثال الشعبية العربية كما ذكرنا مضربها و موردها إن وجد، وكان تصنيفها حسب المواضيع التي تناولتها.

وأخيرا قمنا باستخلاص بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، التي ضمناها في الخاتمة.

أما عن المراجع والمصادر التي اعتمدناها فيأتي في مقدمتها المدونة التي طبقنا عليها وهي (الأمثال الشعبية القبائلية)، ثم كتاب: "نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" من تأليف: "حمادي صمود".

ثم عينة من المراجع المختلفة منها خاصة رسائل الماجستير والدكتوراه، التي تناولت المنهج التداولي ونظرية السياق، ومن بين تلك الرسائل: رسالة المعنونة ب: السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية والتراثية، لمراد حاج محند.

والذي تجدر الإشارة إليه هو أن هذه المحاولة صادفت صعوبات جمة، تأتي في مقدمتها نقص خبرتنا ، وكذا قلة المصادر والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع، وحاولنا جاهدين أن يكون هذا البحث المتواضع، ثمرة علم ينتفع به، وإذا ما بدا فيه نقص أو ظهر فيه خطأ، فإنه منا ومن زلل الشيطان، فإننا نعتذر ويشفع لنا أن الكمال لله وحده، ويبقى مجال البحث في هذا الموضوع مفتوحا، أمام كل من يستطيع أن يساهم في إثرائه، ويعود الفضل إلى ما توصلنا إليه في هذا البحث إلى الله تعالى أولا، وكذا توجيهات الأستاذ المشرف، الذي له منا جزيل الشكر والاحترام والامتنان لنصائحه القيمة التي أفادتنا وأنارت دربنا، كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة البحث وإسداء الرأي حوله.

تمت يوم: 2013/06/02

صورية بعزيزي وليد أيت عبد الوهاب

الفصل الأول

-المثل الشعبي: التعريف و الخصائص

-القيمة التداولية للمثل الشعبي القبائلي

تمهيد:

يطلق مصطلح (التراث الشعبي) ليشتمل ما تراكم خلال الأزمنة من موروث أمة مدى أجيال من أفعال وعادات وتقاليد، وسلوكات وفنون، وكل ما يتعلق بالتركة التي يرثها الشعب عن الأجداد[1] وبهذا يتضح لنا بأن التراث نتاج لتفاعل الإنسان مع الطبيعة وتفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان فإن التراث يمثل الحياة الروحية والمعاشية، وتأتي الفنون القولية على رأس فروع الفلوكور[2]، ويستعمل في اللغات العالمية ـ الفلكور ـ للدلالة على المعنى القريب من لفظ الشعبي، وقد أدخله العلامة "وليم توماس" لأول مرة على المصطلحات العلمية سنة 1846 ، ويصنف عمر الساريسي هذه الفنون القولية في:

1 ـ الأمثال الشعبية.

2 ـ الأغنية الشعبية.

3 ـ النكتة.

4 ـ نداءات الداعية.

5 ـ الحكاية الشعبية.[3]

وقد ارتأينا في بحثنا هذا أن نوجه جل اهتمامنا إلى الفرع الأول المتمثل في الأمثال الشعبية، القبائلية منها، وقبل أن نخوض في دراسة هذا الفرع لابد أولا أن نقدم حتى ولو تعريف وجيز للمثل من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

[1] . د. الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000، ص 9.

[2] . عمر عبد الهادي، الفلكلور ونشأته وتعريفه (كتابه الملحمة الشعبية الفلسطينية)، فلسطين، د.ط، د.ت، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص26

1 ـ تعريف المثل:

1.1لغة: لقد ورد في مادة مثل في المعاجم العربية معاني كثيرة وعديدة فمثل مستقى من المادة الثلاثية: الميم، الثاء، اللام.

يقول ابن فارس: هذا الأصل: أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء أي نظيره في معانيه واحدا والمثل هو المثل أيضا "تشبه وشبه" والمثل مضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر أمورا به عن مثله في المعنى [1].

المثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه لفظا ومعنى، ويطلق على عدة أشياء، يطلق على الحال والقصة والصفة العجيبة الشأن كقوله تعالى: *"مثل الجنة التي وعد المتقون"* أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها" [2].

إذ جاء في لسان العرب لابن منظور في هذه المادة (مثل) كلمة "تسوية" قال هذا مثل الشيء ومثله كما يقال شَبَهَهُ وشِبْهُهُ، وقال الجوهري مثل الشيء صفة، وقال أبو إسحاق بأنه صفة الجنة ويقال مثل زيد مثل فلان إنما المثل مأخوذ من المثال والحذف[3].

قال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته، قال ابن سيده وقوله عز من قال: *"مثل الجنة التي وعد المتقون"*، قال الليث: مثلها هو الخبر عنها[4].

وكما يرى الميداني في كتابه "مجمع الأمثال" سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا للانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب[5].

---

[1] . بشير خلف، الموروث الشعبي، قضايا الوطن، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي، 2006، ص 55.

[2] . محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعات الأمثال القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ج1، 1993، ص 41.

[3] . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ج6، ص 4132 . 4136.

[4] . محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعات الأمثال القرآنية، ص 41.2

[5] . كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، دراسة تاريخية وصفية، رسالة ماجستير، جامعة مسيلة، 2009، ص 21.

ويعرفه أبو هلال العسكري في كتابه الصناتمين ويقول: "والأمثال نوع من العلم متفرد بنفسه لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد فيه فأحكمه وبالغ في التماسه حتى أتقنه[1].

ويرى غيرهم أن الكلمة مأخوذة من العبرية، وفيها كلمة "مشل" تدل على هذا المعنى أوسع منه، فهم يطلقونها على الحكم السائرة، وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وعلى الأساطير[2].

أما في الفرنسية فقد جاء في معجم "لاروس" اللغوي المثل حكمة معبر عنها بكلمات قليلة ثم صارت شعبية، أما معجم لاروس للأمثال فيقول ما معناه "لا يمكن أن يعرف المثل تعريفا دقيقا وكاملا، ومن ثمة فأحسن تعريف له هو ذلك الذي يبقى قابلا للاحتمالات".

ويسوق للتدليل على ذلك أربعة أمثلة:

ـ لا يمكن للمرء أن ينسق ويبلغ في نفس الوقت.

ـ يجب أن يشيح المرء صغيرا ليبقى كذلك.

ـ المصارع يتخذ قراره في حلبة الصراع.

ـ ليس لكل أحد أن يذهب إلى كورني.

أما معجم "روبير" الفرنسي فيعرف المثل بقوله "المثل حكمة مشتركة بين أفراد فئة شعبية معبر عنها بعبارة موجزة، غالبا ما تكون مجازية ذات زخرف"[3]، ومن هنا يمكن لنا أن نستقي مختلف الخصائص التي يتميز بها المثل.

[1] . كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، دراسة تاريخية وصفية، ص 25.

[2] . موهوب حروش، المطالعة الأدبية الموجهة، موفم للنشر، الجزائر، 1995، ص 57.

[3] . عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية (البرج بوعريريج)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 12.

ولذلك نلتمس أن المعاني اللغوية لمادة "مثل" في القواميس والمعاجم العربية كثيرة ومتعددة فتحمل معنى المماثلة والمساواة والصفة، فالمثل والحذر والانتصاب والعقل والعلم إلى معاني أخرى، ونظرا لهذا الكم الهائل من المعاني شاعت هذه الأمثال بين أواسط الشعب لما تعالجه من مواقف على تنوعها وكثرتها في المجتمع إلى أن أصبح صوت الشعب بامتياز.

2.1 اصطلاحا:

المثل هو التعبير الموجز اللفظ الدقيق التركيب القوي المعنى ينطوي على حكمة صائبة أو قاعدة من قواعد السلوك، يصاغ في غالب الأحيان بأسلوب ساخر وبمغزى واعظ وهو وليد العفوية أطلقه رجل من الشعب في مناسبة من المناسبات، ثم شاع على الألسن وسار بين الناس، مما جعل البعض يسمونه "المثل السائر" ويرى ابن المقفع أنه الكلام الذي يكون على شكل مثل أحسن إلى السمع وأخف على الحفظ بحيث قال: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمعنى وأنفع للسمع وأوسع لشعب الحديث[1].

ومن هنا يمكن أن ندرك جمالية المثل الفنية والبلاغية ولكن لا يجب علينا أن نهمل جانبه الاجتماعي والمضموني، إذ صح وذلك لما يتسم به من عامية وللأمثال من هذه الناحية ميزة على الشعر، ذلك أن الشعر تعبير طبقة من الناس في مستوى أرقى من مستوى العامة. في حين أن الكثير من الأمثال تنبع من أفراد الشعب نفسه فكما أسلفنا الذكر تمتاز بالعامية ولذلك نجد كثيرا منها غير مصقول أي أنه لم يتخير لها ألفاظ الأدباء ولا العقلاء الراقيين[2].

ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا محور اهتمامها يختلف عن القيمة الأدبية والفنية إلى القيمة الاجتماعية والأخلاقية لهذا الفن الأدبي الذي احتضنته العرب منذ أمد بعيد[3].

---

[1] . كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، ص 72.

[2] . موهوب حروش، المطالعة الأدبية الموجهة، ص 58.

[3] . كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، دراسة تاريخية وصفية، ص 74.

2المثل الشعبي في كتب التراث:

نظرا لمكانة الأمثال وأهميتها عني التراث العربي بها عناية كبيرة حيث نذكر بعض الدراسات ممن ألفوا في هذا المجال[1] قديما وحديثا حيث جمعوها ورتبوها وشرحوا غريبها وبينوا القصص التي صدرت عنها والمناسبات التي تضرب فيها وتحكي[2]، ولعل هذه العناوين وتاريخ إنشائها تؤكد هذه الحقيقة إذ نجد أقدم كتاب وصلنا عن المثل هو كتاب لرجل في عهد يزيد بن معاوية جمع الأمثال التي قالها العرب في عصر الجاهلية، ثم عصر صدر الإسلام وهو "علاقة الكلابي" بينما يذهب رأي آخر إلى غير هذا كما يحدثنا الدكتور عبد المجيد عابدين ....لكن ننقل من كتابه ما ذكره من حديث الرواة عن من جمعوا الأمثال: فيذكر لنا أن الرواة قالوا: إن صحار ابن العياش أو ابن عياش أحد عبد القيس وكان في أيام معاوية، وضع كتاب في الأمثال، ثم يقول وورد كذلك أن عبيد بن شربه الجرهمي توفي (70هـ) ألف كتابا في الأمثال وينسب إلى ابن النديم أنه رأى هذا الكتاب وهو نحو خمسين ورقة "أخبار عبيد بن شريه الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال"[3].

ولعل أول كتاب في أمثال العرب أفلت من عبث الزمن ووصل إلينا هو كتاب المفضل الضبي المتوفى (178هـ) برواية ابن زوجته محمد بن زياد الأعرابي الكوفي المتوفى (231 هـ) ويقال: أن لابن الأعرابي هذا كتابا آخر في الأمثال وللمؤرخ بن عمرو السدوسي المتوفى (193 هـ) كتابا آخر في الأمثال صغير الحجم حققه الدكتور رمضان عبد الثواب، وهو متداول ومنتشر، كما كتب في الأمثال: أيضا: أبو عبيدة بن معمر المثنى (210 هـ) والأصمعي عبد الملك بن قريب (213 هـ) كما أن لابن السكيت (244 هـ) وابن حبيب (248 هـ) والجاحظ (255 هـ) وابن قتيبة (276 هـ) والمفضل ابن سلمة (291 هـ) كتبا في

[1] . د. حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003، ص 31.

[2] . محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعات الأمثال القرآنية، ص 118.

[3] . المرجع نفسه، ص 112، 113.

الأمثال[1]، وأبو هلال العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال[2] فكتاب الزمخشري المعنون بـ "المستقصي في أمثال العرب" و"مجمع الأمثال" للميداني وهو أضخم كتاب حتى فترته [3].

وكذلك كتاب الفاخر لابن عاصم الكوفي[4]، وكتاب أبو عبيد القاسم بن سلام ويعد كتابه أقيم الكتب المصنفة في الأمثال لما بذله من جهد في تصنيفها موضوعيا، فضلا عن مقدار ما جمعه فيه[5].

بالإضافة إلى كل هذه الكتب نجد كتاب عز من قائل الله تعالى، فإن القرآن تحدث عن المثل وأورد ذلك بمفهوم في غاية السمو، ومن ذلك قوله: ***"ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل"*** الزمر 27، "ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون" إبراهيم 25 و"إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها" البقرة 26[6].

ومن خلال كل ما ذكرناه من مصنفات يتضح لنا بأن المثل حظي بمكانة هامة لدى الشعوب استدعت تدوينه إلا أنه تبقى بعض الأمثال غير مدونة وذلك نظرا لخاصية المثل المتمثلة في التداول على الألسنة وهي من بين أهم خصائصه التي سنتطرق إلى ذكرها.

[1] . علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأمثال والحكم، تح: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض السعودية، ط1، 1999، ص 21.

[2] . محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعات الأمثال القرآنية، ص 113.

[3] . د. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، ص 4.

[4] . د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار قريب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط3، ص 183.

[5] . علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأمثال والحكم، ص 22.

[6] . د. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، ص 5.

3 خصائص المثل وطبيعته:

يتميز المثل بمجموعة من الخصائص جعلته متفردا عن مجموعة الفروع القولية الأخرى (الأغاني الشعبية، الحكاية...)، وذلك نظرا لطبيعته فكما قال أبو عبيد القاسم "إن الأمثال هي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجار اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه"[1].

وما يمكن لنا أن نستنتجه من خلال هذا القول بأن المثل ارتبط بالعرب في مختلف فترات الزمن وكذا إعتماد المثل على جماليات اللغة من إصابة المعنى وحسن التشبيه. ونجد قول السيوطي أيضا "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه حتى ابتذله فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفارحوا به عن الكرب والمكربة وهو من أبلغ الحكمة"[2].

وما يمكننا أن نخلص إليه من خلال قول السيوطي بأن المثل صوت الشعب بطبقتيه العامة والخاصة، فالعامة هي الطبقة الشعبية الغير المثقفة، أما الخاصة فهي الراقية المثقفة، مما جعل لغته مفهومة لدى هاتين الطبقتين وكذا ارتباط المثل بمختلف المناسبات التي يعيشها الإنسان الحزينة منها والسعيدة.

وقال (ابن عبد ربه) عن جملة المثل: "هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والت يتخيرها العرب، وقدمتها العجم بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من

[1] . د. علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأمثال والحكم، ص 21.

[2] . المرجع نفسه، ص21.

الشعر، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل"[1].

وما يمكن أن نستقيه من خلال هذا القول بأن المثل متداول بين مختلف الأجناس العرب والعجم وذلك نظرا للغته التي جعلته يبقى وينتشر بين الناس خلافا للغة اشعر التي خصت مجموعة من الشعب (الطبقة الراقية) وهذا نظرا للعفوية التي يتميز بها المثل.

يقول الأستاذ محمد رضا: "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتيهم وهي أقوال تدل على إصابة المحز وتطبيق المفصل هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية المبنى فإن المثل الشرود عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة والأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية"[2]. وإذا حاولنا أن نلخص خصائص المثل الشعبي من خلال هذا التعريف فإننا نجدها فيما يلي:

أولا: المثل خلاصة التجارب ومحصول الخبرة .

ثانيا: المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم.

ثالثا: المثل يتمثل في الإيجاز وجمال البلاغة[3].

ونجد تعريف أحمد أمين للأمثال الشعبية بأنها: "نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، وميزة الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب".[1]

[1] . د. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، ص 6.

[2]. د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي،

[3] المرجع نفسه، ص 173.

وما يمكن أن نتوصل إليه من خلال تعريف أحمد أمين أنه حصر خصائص المثل في الجماليات البلاغية للمثل وكذا عمومية الأمثال أي أن الأمثال ملك لشعب وذلك لكونه وليد مختلف طبقات الشعب.

أما عند الغرب فإننا نجد (رودولف زلهايم) يقول: "الأمثال عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها تنعكس عليها عادات تلك الشعوب وتقاليدها وعقائدها وسلوك أفرادها ومجتمعاتها وهي ميزان دقيق لتلك الشعوب في رقيها وانحطاطها وبؤسها ونعيمها وآدابها ولغاتها".[2]

يتضح لنا من خلال هذا التعريف بأن المثل عبارة عن تجسيد لحياة شعب من الشعوب الاجتماعية والدينية منها. وهو مقياس تحضر أمة أو انحطاطها.

وفي يعريفه "فريديريك زايلر" وذلك في مقدمة كتابه "علم الأمثال الألمانية" الذي نشره عام 19922، "بأنه القول الجاري على ألسنة الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة"[3]. ويمكننا أن نلخص خصائص المثل عند زايلر فيما يلي:

ـ أنه ذو طابع شعبي.

ـ ذو طابع تعليمي.

ـ ذو شكل أدبي مكتمل.

ـ يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.

---

[1] ـ كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، دراسة تاريخية وصفية، ص 74.

[2] . د. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، ص 6.

[3]. د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 175.

ومن خلال التعريفات السابقة استطعنا أن نتوصل إلى استخلاص خصائص المثل الشعبي ولكن هذا لا يمنعنا من ذكرها وهي مجتمعة أي ذكر جل هذه الخصائص التي ذكرنها من خلال التعريفات السابقة الذكر.

فالمثل الشعبي يتميز بمجموعة من المميزات مكنته من احتلال مكانة هامة لدى مختلف شرائح المجتمع لأية أمة.

ـ فهو يتميز بإيجاز اللفظ: بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من المعاني، فهو مكون من أقل قدر من الألفاظ، وأكبر قدر من الدلالة. وهي كلمات عادة ما تحمل وراءها حدثا صارت به مثلا فخير الكلام ما قل ودل كما جاء على لسان العرب.

ـ وهو متميز بإصابة المعنى، فشرط الكلام القليل الدلالة المباشرة على المعنى المراد دون زيادة أو نقصان.

ـ وهو متميز أيضا بحسن التشبيه، ولا يخفى أن حسن التشبيه مطلب بلاغي بدأ به ابن المعتز "في بديعه" للدلالة على أنواع البلاغة "البديع" وهو متميز بجودة الكناية، وبهذا يصبح قمة البلاغة وقيمتها في الدلالة على المعنى المراد والصيغة المطلوبة[1].

ـ يتميز المثل الشعبي بالسرعة والتداول على ألسنة الناس اذ ويلازمهم في سهراتهم، وأعراسهم ومآتمهم، وأعمالهم المختلفة [2].

ـ وأبرز ما يتميز به المثل الشعبي حركته الإيقاعية التي تنجم عن استخدام الوزن والإيقاع وإذا كان الوزن والإيقاع في الشعر من شأنه أن يعين على عرض الصور اللغوية المتماسكة عرضا يستمر مع الحركة النفسية، فإن الوزن والإيقاع في المثل من شأنه أن يصنع الشكل

[1] . د. حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ص 32.

[2] . د. الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، ص 21.

اللغوي المقفل، فما أن تنتهي العبارتان المتحدثان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتى ينتهي المثل. مثال ذلك "**العبد في التفكير، والرب في التدبير**"[1].

ـ يتقبل عدة مستويات في الفهم والتحليل.

ـ يمتاز بالصدق والعفوية (حميمي).

ـ يحاول الانتصار للخير[2].

ـ يمتاز بالعمق في الطرح للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية[3].

ـ استخدام اسم الموصول بكثرة "**اللي جابه الليل يديه النهار**".

ـ تنوع الأمثال واختلافها إلا أن بعضها يبدو متناقضا (مضمونا) تبعا لاختلاف الظروف وتعقيداتها[4].

ـ توليد المعاني المتجددة: من المؤكد أن المثل الشعبي لم يظهر بالصدفة وإنما أنتج عبر أزمنة وأخذ معاني مختلفة من حقبة إلى أخرى وهذا ما يثبت فكرة توليد المعاني المتجددة في ذاته، أو أن أفكار الناس ومستويات فهمهم، ودرجات وعيهم تختلف وتنشأ عن ذلك توليدات جديدة للمثل الشعبي نفسه[5].

ـ يمتاز المثل الشعبي بالعامية أي تداوله بين شتى أنواع طبقات المجتمع وهذا للغته التي يتقنها العام والخاص.

---

[1] . د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 181.

[2] . د. الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، ص 40.

[3] . المرجع نفسه، ص 60.

[4] . سعيدة حمزاوي، رؤية نقدية لمنطلقات التفكير في الأدب الشعبي (التلي بن الشيخ : الشعر، القصة، المثل)، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، الجزائر، العددع5، مارس، 2006، ص 225.

[5] . د. الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، ص 48.

ولقد اهتمت كل الأمم بحفظ تراثها المادي واللامادي من عادات وتقاليد. والجزائر التي هي جزء من هذا الكون ومن الأمم العريقة التي يشهد لها التاريخ في جميع مراحلها بالمساهمة الجادة الدؤوبة دائما في ترك بصماتها في الحضارة الإنسانية نجدها يقينا قد أمدت المجتمع بشيء من القول في هذا الغرض[1]، فقد سعت إلى حفظ تراثها الشعبي فاهتمت بمختلف أنواعه فحافظت على أمثالها التي تعبر عن هويتها الجزائرية وعن بيئتها فجعل من المثل الأداة الأنجع للتعبير عن طموحاتها وأفكارها وحياتها.

والأمثال الشعبية الجزائرية تختلف باختلاف اللهجات التي تقال بها وهذا نظرا لاتساع الرقعة الجزائرية فلكل منطقة لهجة خاصة بها إلا أنها في الأخير تصب ضمن لغتين أساسيتين هما اللغة العربية واللغة الامازيغية وفي مجال بحثنا هذا سنقوم بدراسة الأمثال التي تندرج ضمن اللهجة القبائلية وعلى وجه الخصوص الأمثال المتداولة في ولايتي "بجاية وتيزي وزو".

لقد وجهنا بحثنا هذا إلى الأمثال القبائلية لاحتكاكنا المباشر بها مستغنين بذلك عن الأمثال الأمازيغية الأخرى كالشاوية والترقية والمزابية لبعدها عنا ولقلة الشواهد عليها.

لقد تطرقنا فيما سبق إلى ذكر أهم الخصائص التي اتسم بها المثل الشعبي العربي وفيما يلي سنقوم بذكر أهم مميزات المثل الشعبي القبائلي الذي اعتمدنا عليه في دراستنا هذه.

4 مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية:

أ ـ باللغة العربية: رغم كون المثل الشعبي الصورة الواقعية والحقيقية لثقافة الشعبية العريقة، إلا أن الدراسات حول هذا الموضوع لن تلقى الرواج الذي لقاه ألوان وأنواع أدبية فصيحة أخرى كالرواية والقصة والشعر.

[1] . د. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، ص 4.

فالكتب الجزائرية المؤلفة في هذا الموضوع ليست بالوفيرة ولعل أبرز الدراسات حول موضوع الأمثال الشعبية هو مؤلف الدكتور "عبد المالك مرتاض" تحت عنوان "الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية" في الغرب الجزائري سنة 1982.

1 ـ تناول مضامين الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بزراعة والاقتصاد والتدبير المنزلي (في الغرب الجزائري)، وينقسم على ثلاث فصول.

أما القسم الثاني فقد خص به الحيز والزمان واستغرق فصلين، وعالج في القسم الثالث اللغة والأساليب في أمثال هذه المجموعة وأما القسم الرابع فكان لإثبات نصوص تلك الأمثال الشعبية الواردة في المجموعة إضافة إلى معجم الألفاظ الزراعية والاقتصادية[1].

–لقد سمحت له هذه الدراسة في الكشف عن عدة حقائق اجتماعية وعلمية وكذلك اقتصادية وفولكلورية،لأن المنهج الذي انتهجه في دراسته كان محددا ومضبوطا وخاصا بمجال أو موضوع واحد.

ونجد أيضا في مجال المثل الشعبي مؤلف "عبد الحميد بن هدوقة" تحت عنوان أمثال جزائرية سنة 1993،"لعبد الحميد بن هدوقة".

ويعد كتابه في الأمثال يعد كتابا خاصا بالأمثال الشعبية السائدة والمتداولة في قرية الحمراء لولاية برج بوعريريج، فلقد جمع العديد منها وتطرق إلى شرحها شرحا مفصلا لذلك تعتبر هذه الدراسة مجرد جمع وتصنيف للمواضيع التي تناولتها تلك الأمثال.

ب ــ المصنفات باللغة الأمازيغية:

[1] . عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1982،ص7-8

لقد صادفنا العديد من هذه المؤلفات التي كان موضوع دراستها المثل الشعبي « Inzan » باللغة الأمازيغية، وقد توقفنا عند ثلاثة مؤلفات مختلفة لا بأس من ذكرها ولو بشكل سطحي فقط.

1 ـ كتاب "سكينة أيت أحمد سليماني" تحت عنوان: « Proverbes berbère de Kabylie » Inzan سنة 2003 والكاتبة مولودة في إحدى القرى من منطقة القبائل في عام 1953م. وكان هذا الكتاب بغاية جمع الأمثال الشعبية الأمازيغية وتصنيفها بحسب موضوعاتها، فانتهجت في دراستها هذه منهجا قسمت فيه الأمثال إلى مواضيع عدة، منها التي تندرج ضمن موضوع العمل والمنافع العمومية، وموضوع القيم الأخلاقية مثل الجوار، الزواج، العلاقات العائلية إلى مواضيع أخرى تعبر عن تنوع السلوكات بين البشر الذين يعيشون مواقف مختلفة في الحياة اليومية.

وعن هذا الكتاب فنقول أنه كان عونا لنا لإطلاع على بعض من الأمثال الشعبية القبائلية والتعرف عن بعض العادات والتقاليد في مناطق أخرى.

ومن بين المؤلفات التي تسنى لنا الوقت لقراءتها وسمحت لنا الفرصة للإطلاع عليها كتاب طاهر حمداش بعنوان "إنان إمزورا" «Proverbes berbères de Kabylie » « nnan imzwura »

الذي صدر في ماي 2009 وصاحب الكتاب "طاهر حمداش" مولود في دائرة أقبو سنة 1968، ولقد كان أحد المناضلين والمدافعين عن الثقافة الأمازيغية وكان له الشرف في المشاركة في عدة مؤتمرات وملتقيات ثقافية كما كتب بعض المقالات في الجرائد.

وعن هذا الكتاب فهو قبل كل شيء جمع لأمثال الشعبية وتصنيفها ولكن ليس حسب موضوعاتها إنما حسب تركيب الجمل وأساليبها الإنشائية والخبرية ولقد قسم الأساليب إلى أمر، نفي كما صنفها بحسب تركيبها الجملي من جمل قصيرة وجمل طويلة وجمل لازمة

ومتعدية، فلقد اتخذ من النحو الفرنسي وسيلة لتقسيم نصوص تلك الأمثال. وقد كان هذين الكتابين عن الأمثال الشعبية الأمازيغية من المؤلفات القليلة بل والقليلة جدا في هذا المجال مما أثر علينا في بعض المواضع من بحثنا هذا.

5ـ المثل الشعبي القبائلي وخصائصه:

إن تقديم تعريف للمثل الشعبي القبائلي وخصائصه أمر صعب للغاية وهذا راجع لقلة المراجع التي تناولت هذا الموضوع وكذا لقلة الشواهد الحية التي يمكن أن تنقل عنها، وهذا ما أجبرنا إلى الغوص في أعماق هذه الثقافة العريقة والاستعانة ببعض الشواهد التي مازالت تستمد قوامها من التراث[1]. كالأغنية الشعبية والقصص.

المثل الشعبي القبائلي وليد الثقافة العريقة فمعظم الأمثال قد إمتزجت بالثقافات التي وجدت في هذه الأرض.

يمتاز المثل في المجتمع القبائلي على أنه وسيلة للإقناع والحجة كما أنه يحمل الرؤية الواضحة للمواقف والأحداث.

وكما يعد المثل الشعبي القبائلي وسيلة للتعلم والتثقف والتوعية والتوجيه، فالأغراض التي تضرب فيه الأمثال عديدة وكثيرة، كما نلمح أيضا ذلك الاهتمام الكبير بين أواسط الشعب القبائلي (القروي) بشكل خاص بهذا النوع الأدبي باعتباره الوسيلة الكفيلة بالإقناع وإيصال الرسالة والمغزى.

ومن الخصائص التي نلمحها أيضا في المثل القبائلي ارتباطه الكبير بالشعر القبائلي على لسان كبار شعرائها، إذ يتم استخدامها بشكل كبير في الشعر القبائلي على غرار

[1] – Tahar HAMADACHE, proverbe Berbère de Kabylie, édition Tallantikete, 2009, p 11.

سليمان عازم الذي يعتبر هرما من أهرام الفن الجزائري القبائلي وذلك بسبب الحكمة التي امتاز بها ومعطوب الوناس رحمه الله ولونيس أيت منقلات فمعظم الأمثال التي وصلت إلينا كانت من ذوي الشهرة الغنائية فلذلك يعد الشعر القبائلي من أهم المراجع التي يمكن العودة إليها لاستخراج هذه الأمثال.

إن المتعاطي للأمثال القبائلية يلمح ذلك التعبير الصريح عن هذه الثقافة، وعن نمط وطريقة عيش هذا المجتمع بكل تفاصيله حيث يعتبر المثل اللغة السامية للتعبير عن الحياة في أرض القبائل.

كما قد تختلف دلالات الأمثال الشعبية القبائلية عن نظيرتها باللغة العربية لاختلاف في الثقافات وذلك رغم امتزاجها المتكامل، فبعض الأمثال قد تكون معبرة من طرف ثقافة دون أخرى لذلك يمكن أن نصادف في نصوص بعض الأمثال القبائلية بعض الاحتضان لثقافة الإسلامية، وقليل من النفور في البعض الآخر منها وعامة هذا ما يميز المثل الشعبي القبائلي عن نظيره العربي فهو يتبنى تميزا في الدلالة والمحيط والثقافة لا في التركيب والتأليف.

6 القيمة التداولية للمثل الشعبي القبائلي ودوره اللغوي الوظيفي:

للمثل من أكثر الألوان الأدبية شيوعا بين الناس وأكثرهم تداولا واحتضانا إذ أنه يعبر عن أفكارهم وعواطفهم وانشغالاتهم المتعددة، كما يصف مواقفهم في الحياة، فهو التعبير الذي يحبذ إلى الناس في التخاطب والتواصل فيما بينهم، فللمثل قيمة تداولية عظمى بين أوساط المجتمع وكما أن له دورا وظيفيا ويمكن إجمال الفعالية التداولية للمثل حسب ما جاء في مقدمة "قادة بوطارن" في كتابه حول الأمثال الجزائرية فيما يلي من الوظائف(1) الوظيفة

التواصلية(2) الوظيفة الاقناعية أو الحجاجية (3) الوظيفة التنبيهية (4) الوظيفة الحوارية (5) الوظيفة الترفيهية [1].

1.6. الوظيفة التواصلية:

المثل الشعبي تعبير لغوي يؤدي وظيفة تواصلية لأنه يساهم في نقل الأفكار والمقاصد بين شخصين أو أكثر، فالتواصل هو عملية نقل الأفكار والعواطف بين الأشخاص.

وكثيرا ما يستخدم الناس الأمثال الشعبية لتواصل بينهم كونها تسمح بوصول المعنى إلى المتلقي بطريقة واضحة ومفهومة.

وما يعطي المثل دوره التواصلي هو قالب لغته العامي والمعروف والمستعمل بين جميع فئات المجتمع من غني وفقير وأمي وعالم وكبير وصغير، ولإبراز دوره الهام في هذه العملية نقترح نموذج "رومان جاكبسون" الذي ربط اللغة بالتواصل اقتضى أن كل تواصل لفظي يقتضي ستة مكونات مرسل باعتباره ذاتا متكلمة قادرة على تأليف الرموز، ومرسل إليه باعتباره متلقية قادرة على تفكيك الرموز اللسانية، ورسالة باعتبارها مضمونا إخباريا.

والمرجع باعتباره سياقا تواصليا، والاتصال باعتباره قناة نفسية رابطة بين المتكلم والمتلقي والسنن باعتباره يشكل رموز اللسان المتفق عليه جزئيا أو كليا[2].

وهذه العناصر يمكن توضيحها من خلال الخطاطة التالية:

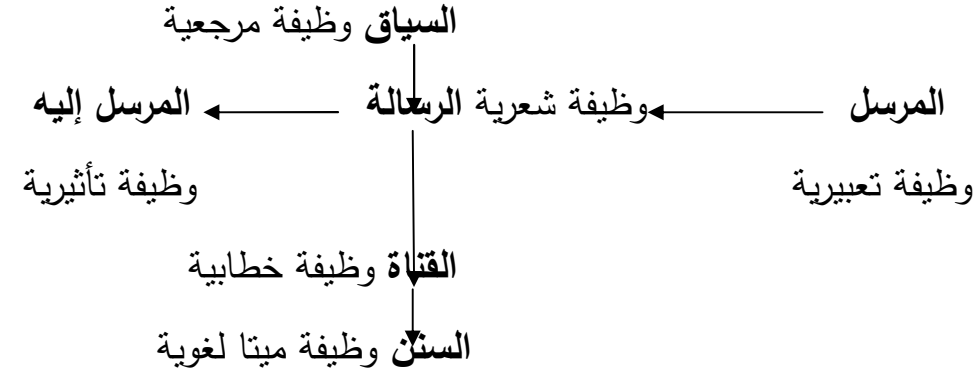

[1] . د.عبد الحميد بورايو، البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر، 2008، ص 222.

[2] . علي تاعوينات، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، الحراش، الجزائر، 2009، ص 22.

ولقد اقترح "جاكبسون" في كل هذه العناصر وظيفة معينة لكل عنصر من هذه العناصر[1] وهي:

ـ **الوظيفة المرجعية**: وهو المرجع أو السياق الذي جاءت فيه عملية التواصل ونحن بصدد الحديث عن الأمثال الشعبية (القبائلية)، فالوظيفة المرجعية بينت له الموقف الذي ضرب فيه هذا المثل.

ـ **الوظيفة التعبيرية**: فيتحكم بها ذات المرسل أو المتكلم وتتجلى في انفعالاته وميوله وعواطفه أثناء عملية التواصل.

ـ **الوظيفة التأثيرية**: تنصب على المتلقي أو المرسل عليه ويهدف المرسل من ورائها إلى التأثير في المتلقي وكثيرا ما نلمح هذا في استخدام الأمثال الشعبية بغية التأثير على المتلقي وإقناعه فهي سمة يتميز بها المثل الشعبي اذ يعتبر وسيلة لتأثير في عملية التواصل إذ كثيرا ما يتحجج به المرسل في خطابه.

ـ **الوظيفة الشعرية أو الجمالية**: يتيح المثل الشعبي الشعرية في التواصل والجمال في التعبير والسهولة في الأسلوب لقلة لفظه وقوة معناه وجمال أسلوبه، فالمثل الشعبي يجمع بين الجناس والسجع وجودة الكناية مما يجعله يكتسب الجمالية والشعرية أثناء عملية التواصل.

ـ **الوظيفة الخطابية اللغوية**: وهي ترتكز أساس على اللغة المستعملة في التواصل الذي يجب أن تكون معروفا بين أطراف التخاطب ولعل المثل الشعبي أكثر أنواع الأدب شيوعا وتداولا بين أطراف المجتمع لذلك قد تكون لغته أفضل قناة التي يمكن التواصل بها.

ـ **الوظيفة الميتالغوية أو الوصفية**: وهي وظيفة ترتكز على السنن أو الشفرات التي تحملها الرسالة من خلالها وقد تكون رموزا أو مصطلحات غامضة قد يقف أمامها المتلقي حائرا.

[1] . علي تاعوينات، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، الحراش، الجزائر، 2009، ص 23.

نلمح هذا في بعض الأمثال الشعبية القبائلية. وذلك لطابع اللغوي البسيط الذي يحمله المثل[1].

إن الأمثال الشعبية القبائلية لغة تتوفر على جميع العناصر والوظائف التي تسمح لعملية التواصل أن تكون ناجحة وسهلة ويسيرة وذلك لطابعها اللغوي المتداول بين المجتمع وكذلك مما تحمله من خصائص لغوية كثيرة تجمع بين حسن تأليف اللفظ والدقة في إصابة المعنى وبهذا كله يمكن اعتبار المثل الشعبي القبائلي لغة سامية في التواصل بين أوساط المجتمع الذين يتداولون اللغة نفسها.

2.6الوظائف الدلالية:

إضافة إلى الدور الوظيفي اللغوي للمثل الشعبي القبائلي الذي يلعبه في عملية التواصل وهو أيضا بحر غزير من المعاني والدلالات وهو يحمل قياما متنوعة من مواقف الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان لذلك فغن المثل الشعبي (القبائلي) يتوزع على عدة وظائف دلالية منها: الوظيفة النفسية والاجتماعية، والوظيفة الدينية والتعليمية بالإضافة إلى الوظيفة الإقناعية الحجاجية.

ب ــ الوظيفة النفسية والاجتماعية: يكشف المثل الشعبي القبائلي عن سلوكات اجتماعية ومعتقدات نفسية كثيرة عند الناس، فهو يحمل تفكيرهم وعواطفهم اتجاه بعضهم، إذ يلعب دورا في تهدئة النفوس وإنعاشها وبعث الآمال فيها وتحفيزها إلى الأعمال المفيدة والصالحة للفرد والمجتمع على حد سواء، ومن بين الأمثال الشعبية القبائلية التي تحث على ذلك نجد:

"**وين إسحفظن أخير من إديتكان**".

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الذي يعلم خير من الذي يعطي.

ولعل مقابل هذا المثل من الأمثال نذكر المثل الصيني القائل: لا تعطيني السمكة بل علمني كيف أصطادها

[1] . ينظر علي تاعوينات، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، ص 23.

ففي هذا المثل قيمة اجتماعية ونفسية تتدد بالعمل وتجعله السبيل إلى النجاح في الحياة وكذلك يقر نص هذا المثل بالتعلم لأن ذلك يجعل الناس تكتسب مهارات وحرف تساعد في الحياة .

جـ ــ الوظيفة الدينية: بعد امتزاج الثقافة العربية الأمازيغية في الجزائر أصبحت الأمثال الشعبية القبائلية تحث وتدافع عن القيم الإسلامية والشريعة الإلهية لأنها ترى فيها السبيل إلى الاقتراب من الله عز وجل، وكذلك وسيلة لعيش حياة هنيئة وسعيدة وكثيرا ما نرى الأمثال ترشد إلى حسن التصرف والإيمان بالخير والابتعاد عن الشر وبذلك أصبحت وسيلة للنشر قيم الإسلام السامية، ومن بين الأمثال الكثيرة التي يتشهد على ذلك نذكر: "الصبر ذا حبيب أنربي".

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الصبر حبيب الله

يحثنا هذا المثل على الصبر الجميل في أوقات الشدة إذ يصرح أن الصبر من صفات الله وأسماءه الحسنى التي يجب الإقتداء بها، فالصبر وسيلة لمواجهة مآزق ومشاكل الحياة.

د ــ الوظيفة التعليمية: بالإضافة على دور المثل الاجتماعي والنفسي فهو كذلك ذا وظيفة تعليمية، إذ هو يوجه السلوك الإنساني ويحدد المبادئ والقيم والأصول التي ترضاها الجماعة ويجعل العادات والتقاليد السائدة في المجتمع القاعدة لتحديد ما ينبغي أو لا ينبغي أن تكون عليه السلوكات والمبادئ، فالمثل قول تعليمي تهذيبي محكم السبك، شائع الاستعمال بين الشعب ضمن العرف والتقاليد يحث على العمل والسلوك الصحيح وإصدار حكم يتفق مع مشاكل وصعوبات الحياة، وتتجلى هذه الوظيفة أكثر في الأمثال الوعظية التي توجه السلوك إلى ما هو صالح وتحذره إلى ما هو طالح وفاسد، وهذا بإعطاء نماذج بشرية من الحياة لضربها كمثال يقتدى بها في حسن التصرف أو كعبرة ينفر منها في السلوكات الفاسدة.

ومن بين تلك المثال التي تشهد على ذلك:

"**أحقار فاكس ناغ كساس**". ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية:

المتكبر قدم له أو انزع منه

فهذا المثل الشعبي يبين لنا أن معاملة هذا الصنف من الناس يعود بالسوء على صاحبه لذلك يجب الابتعاد من هذا النوع من البشر وهذا ما يبينه نص هذا المثل.

و ــ الوظيفة الاقناعية الحجاجية: تعد الأمثال الشعبية (القبائلية) حجة يدعم بها المتخاطب كلامه ويبرر موقفه، إذ توظف الأمثال بصفة مهيمنة في متنها لاحتجاج على صحة القضايا المطروحة للنقاش بذلك يصبح المثل حجة لا يمكن دحضها أو الاستغناء عنها.

فالحجاج من منظور لساني وتداولي الذي هو موضوع بحثنا يدخلنا حتما في سياق الحوار الناجح، ومقولة التراضي والتوافق الاجتماعي، فالمتكلم حين يدخل الحجج يبدأ عملية التهيؤ، فيتخيل وجود مستمع (مخاطب)، ليس فقط قادرا على المتابعة والإجابة وما يطرحه المتكلم ولكنه قادرا على تجريب ذلك وتمحيصه وتقييمه في شكله الحجاجي[1].

وبهذا فتعد الأمثال الشعبية (القبائلية) من أنجح أنواع الاحتجاج لما توفره من حوار ناجح وتراضي وتوافق اجتماعي ذلك لشيوعها وتداولها الكبير بين الشعب، وقد يتخذ الاحتجاج بالمثل الشعبي (القبائلي) عدة مظاهر إما لغوية أو منطقية أو خبرية أو حضارية، جدلية وإما طبيعية.

ويتجلى **المظهر اللغوي** في استعمال التوكيد والقسم كعبارة مثلا "والله كيما يقول المثل"، إضافة إلى لغة المثل التي تجمع بين التناغم الصوتي للألفاظ وحسن إبراز المعاني لأن ذلك يساعد كثيرا في التأثير على المتلقي بغية إقناعه.

[1] . هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية، أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص 101.

وأما **المظهر المنطقي** فيظهر في استخدام منطق القياس والتشبيه للمقارنة سواء بين الأجزاء وبين الأشياء ولعل من بين الأمثال التي تدل على ذلك: "**إكاث أفطيس إحفظ ميس**"

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: يضرب بالمطرقة وابنه يتعلم ومقابله في اللغة الفرنسية: « tel père tel fils ». وكثيرا ما نرى أن هذا النوع من الأمثال يحاور العقل بالمنطق ويعرض له الأشياء بغية تبسيطها، فنص هذا المثل يخبرنا على أن الأب والابن غالبا ما يكونان متشابهان في كثير من الصفات والسلوكات سواء في العمل أو التصرف.

المظهر الجدلي: وتكون أداته الاستفهام وخصوصا الإنكار منه كقولك: "أليس صحيحا أن فاقد الشيء لا يعطيه" فهذا استفسار قد يلعب دورا جدليا يساهم في الإقناع والاحتجاج وكذلك استخدام عبارات مثل ألم يقل المثل.

المظهر النصي: ويتجلى هذا في استخدام النصوص الدينية في الأمثال الشعبية وقد تم ذلك اثر احتضان الثقافة الأمازيغية لثقافة العربية الإسلامية وكثيرا ما نرى الأمثال الشعبية القبائلية تستخدم النص الديني في الأمثال للاحتجاج بالموقف ومن بين الأمثال الشعبية القبائلية الكثيرة التي تشهد على ذلك:

"**اكرا وين سلمذغ ثزليث يزوريي غ لجامع**"[1].

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: كل من علمته الصلاة سبقني للحصيرة ويضرب المثل على الإنسان الذي يقدم النصائح لغيره وينسى نفسه، وهذا المثل يبين فضل الصلاة على العباد وأهميتها، كما يبين تأثر الثقافة الأمازيغية بالإسلام وقيمه السامية.

من بين تلك المظاهر نجد المظهر الطبيعي في الأمثال وكثيرا ما نجده في الأمثال الشعبية القبائلية ذلك لأن منطقة القبائل تعد منطقة المداشر والقرى فسكانها على علاقة دائمة مع الطبيعة، وهذا المظهر نعني به الاحتجاج بما هو معروف ومحسوس، ومن بين تلك المثال نذكر: "**إيطيج نمغرس اسبغ ڤغس**"[2].

[1] – Sakina AIT AHMED, SLIMANI, proverbes Berbères de Kabylie, L'haramattan, P 135.

[2] المرجع نفسه، ص135

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: شمس مارس تصبغ العظام وإضافة إلى كل هذه المظاهر فالمثل الشعبي القبائلي رمزا من رموز ثقافتها اذ يعبر عن الحياة الواقعية والمواقف اليومية لهذا الشعب يكفي أن يكون حجة توظف في الخطاب بغية الإقناع والبرهنة والتوكيد.

إن التنوع الوظيفي الذي يزخر به المثل الشعبي كوسيلة للتواصل والتفاهم والإقناع، والوظائف التي تتيحها للمخاطب من وظيفة اجتماعية ونفسية وتعليمية و حجاجية تسمح له بأن يكون التعبير الأسمى والطريقة الفضلى لتعبير عن الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمع على حد سواء، كما يسمح له أسلوبه اللغوي وخصائصه الفنية والبلاغية والجمالية بأن يكون اللون الأدبي المتفرد بجزالة لفظه وحسن تشبيه ودقة معناه وجودة كنايته، وبهذا كله يمكن لنا القول بأن المثل الشعبي أحسن الطرق للبحث في التراث واستكشاف ثقافة شعب كالثقافة (القبائلية) أو الأمازيغية على وجه عام.

الفصل الثاني

التداولية وسياق المثل الشعبي القبائلي

-التداولية:

-التداولية و بالسياق:

-السياق و مفاهيمه :

-أنواع السياق:

-السياق عند هاليداي:

تمهيد:

لقد ارتأينا في دراستنا هذه أن نعتمد على المنهج التداولي وذلك نظرا لتوافق هذا المنهج مع طبيعة بحثنا، وعليه سنقدم ولو لمحة وجيزة عن هذا المنهج، حيث سنتعرض إلى أهم التعاريف التي مر بها هذا المنهج حتى ولو تعددت، وذلك راجع إلى اختلاف مشارب هذه التعريفات فلكل عالم أو مدرسة منطلق معيّن في تعريفها لهذا المنهج.

1التداولية:

لقد عرفت الدراسات اللغوية تطورا كبيرا خاصة مع ظهور اللسانيات الحديثة مع محاضرات فردنان دي سوسير Ferdinand de Saussure الذي ألقي الضوء على اللغة كهدف للبحث بطريقة علمية ومنهجية، ولقد فتح دي سوسير الأبواب لهذه الدراسات إذ تلته عدّة أبحاث في هذا المجال وعلى إثرها ظهر ما يسمى بالبنيوية وما بعدها، وبعد هذه التبلورات والتغيرات انبثق منهج جديد على ضوء تلك الأبحاث اللغوية يعرف بالتداولية أو المنهج التداولي، فما هو إذن هذا المنهج الجديد؟ وما هي أسسه وأهدافه؟

لتوضيح أسس و مبادئ هذا المنهج في الدراسة والتحليل، لذلك سنتطرق أوّلا إلى هذه التعريفات من الناحية اللغوية وكذا الاصطلاحية.

1.1لغة: إنّ الحديث عن التداولية كمنهج في البداية أمر مبالغ فيه وعليه لا بدّ أوّلا من العودة إلى أصل هذه الكلمة سواء عند الغرب أو العرب.

-عند العرب:

إنّ مصطلح التداولية مأخوذ من الجذر (دَوَلَ)، ونجده في لسان العرب:

دَوَلَ: الدُّولةُ والدَّوْلةُ، العُقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُّولة بالضم في المال، والدَّوْلةُ بالفتح في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما: يضمان ويفتحان. الدَّولة بالفتح في الحرب أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلةُ، والجمع الدَّوْلُ، والدُّولةُ بالضم في المال والدَّوْلة: اسم الشيء الذي بتداوله...

دالتْ الأيام: أي دارتْ، والله يداولها بين الناس.

دواليْك: ما تداولوا الأمر بينهم يأخذ هذا دولة وهذا دولة، وقولهم دواليك: أي تداولا بعد تداول.

والدَّوَلُ: النُّبل المتداول، عن ابن الأعرابيّ أنشد: يلوذ بالجود من النُّبل الدُّوَلُ[1].

كما نجد هذا الجذر في مختار الصحاح: « دَوَلَ: (الدولة) في الحرب أن تدال الفئتين على الأخرى، يقال كانت عليهم الدَّوْلة والجمع الدِّوَل بكسر الدال، والدُّولة بالضم في المال، يقال صار الفيء دُولة فيما بينهم يتداولونه، يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع (دُولات) و(دول) وقال أبو عبيدة (الدُّولة) بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه والدَّولَة بالفتح الفعل ودالتْ الأيام أي دارتْ والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته مرة هذه ومرة هذه»[2].

ولقد عرّفها ابن منظور في لسان العرب؛ تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة في الأمر، ودالت الأيام: يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة[3].

وإن كانت معاني الجذر (دول) لا تخرج عن الانتقال والتحول والتبدل في المعاجم العربية سواء من حال إلى آخر، ومن مكان على آخر، فهذا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتبدل.[4]

[1]– ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، ط1. بيروت: 1997م، مجلد 02، دار صادر للطباعة والنشر، ص 432.

[2]– محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط4. تح : مصطفى ديب البغا، الجزائر: 1990م، دار الهدى، ص 144.

[3]– لهويمل باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة الخبر، أبحاث في النفس والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07، ص 156.

[4]– المرجع نفسه، ص 156.

-**عند الغرب:** يبدو مصطلح التداولية Pragmatique على درجة من الغموض، إذ يقترن به في اللغة الفرنسية المعنيان: "محسوس" و"ملائم للحقيقة"، أما في الانجليزية -وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية-، فإنّ كلمة Pragmatique تدل في لغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية[1].

وورد في موضع آخر على أنّ التداولية في الانجليزية Pragmatic هي المذهب اللغوي التواصلي الجديد[2]. ومن هنا يتّضح لنا بأنّ هذا المذهب يقتضي وجود طرفي الخطاب لتحقيق هذه العملية (أي عملية التواصل).

2.1 اصطلاحا:

إنّ الإلمام بمفهوم شامل للتداولية أمر يقتضي قدرا كبيرا من الصعوبة وذلك لاختلاف مشارب مؤسسي هذا المنهج. حيث يعود أوّل استعمال لهذا المصطلح إلى الفيلسوف تشارلز موريس Charles Morris (1901م)، وذلك سنة 1938م، وهذا في مقال ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب، الدلالة والتداولية) فيقول: «التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلامات ومستعملي هذه العلامات»[3]، فبالتالي يتضح لنا بأنّ التداولية على علاقة بحقول معرفية أخرى.

وتعني التداولية في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقر في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم "أنا" والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن والهنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي

---

[1]- فيليب، بلانشيه، التداولية من أوسيتين إلى غوفمان ، تر:صابر حباشة، ط1 ،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا: 2007م، ص 18.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ط1. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 2005م دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص 157.

من المقام الذي يجري فيه التواصل، ومع ذلك ظلّت التداولية كلمة لا تغطي أيّ بحث فعلي[1] ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا بأنّ التداولية تقوم ضمن دائرة التخاطب؛ مرسل ومرسل إليه مع مراعاة المكان والزمان.

وتعرف بدراسة كيف يكون للمحادثات معان في المقامات الخطابية، ويتأكد الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف جون سيرل John Searle الذي قدمه جون أوستين John Austin الذي تنسب إليه نظرية أفعال الكلام، والتي ألقاها على شكل محاضرات في جامعة "هارفارد" وذلك سنة 1955م في كتابه الموسوم "نظرية أفعال الكلام العامة" أو "كيف ننجز الأشياء بالكلام"[2].

التداولية عند مؤسسها أوستين: "جزء من علم أعم هي دراسة التعامل اللغوي من حيث أنّه يشكل جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا التعريف ينتقل أوستين باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر" فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في إطار اجتماعي، والذي يملي خصوصيات تؤثر في الفعل الكلامي[3]. حيث تربط التداولية بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي.

تهتم التداولية بعلاقات العلامات بمستعمليها واستعمالها وآثارها، وبصفة أعم فنحن عندما نتحدث اليوم عن مكوّن تداولي أو عندما نقول إنّ ظاهرة ما خاضعة "لعوامل تداولية" فإنّنا نشير بذلك إلى المكوّن الذي يدرس مسارات تأويل الملفوظات في مقام: سواء تعلق الأمر بمرجع الوصلات أو بمحددات الاسم، وسواء تعلق بالقوة اللاقولية أو للملفوظ

[1]– آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ط1. تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، لبنان: 2003م، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 29.

[2]– ياسين سرايعية، إستراتيجية القراءة وتوليد الدلالة في الخطاب الشعري عند أحمد عبد المعطى حجازي، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر: 2009م، العدد 42، ص 01.

[3]– سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، دراسات أدبية، جامعة مستغانم، الجزائر: 2008م، العدد 01، ص 53.

أو بكفالة المتكلم له (يمكن للملفوظ مثلا أن يكون سخرية خفية)، أو بالضمنيات التي تفسح مجالها أو بالروابط... الخ.[1]

ويحيلنا هذا إلى القول بأنّه لا يمكن لأيّة ظاهرة أن تكون ضمن إطار تداولي إلّا إذا كانت خاضعة لمقومات المقام.

3.1مفاهيم التداولية:

التداولية تعنى بدراسة الكيفية التي يسلكها الناس لفهم الفعل الكلامي وفقهه، وكيفية إنتاجهم له.

والفعل الكلامي من أبرز المفاهيم التداولية إذ يمثل نواة مركزية في كثير من الأعمال، فالقول هو ذاته الفعل أي عندما نقول نفعل هذا على حد تعبير ديكرو.

بالإضافة إلى مفهوم **القصدية** Intentionnalité، حيث يُعد هذا المفهوم من الآراء السائدة الآن في النظرية التأويلية المعاصرة، والتيار التداولي في مجال اللسانيات، فالنص موئل تقاطعات بين المرسل والبنية النصية ومتلقي الخطاب.

فهذا المفهوم لا يتحدد إلّا بوجود طرفي الخطاب (مرسل ومتلقي)، وكذا نظرية الملائمة اللغوية التي أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني "دريدر ولسن" والفرنسي "سبربر". والمقصود بالملاءمة اللغوية هو الدمج بين نزعتين متناقضتين، فهي نظرية تداولية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وفي الوقت نفسه نظرية إدراكية، أي ملاءمة اللغة مع المقام (لكل مقام مقال).

وهذا إضافة إلى **الاستلزام الحواري** الذي يعد من مفاهيم و آليات البحث التداولي التي تهتم بدراسة القدرة التواصلية لمستعملي اللغة كوسيلة لاستقصاء المعنى التداولي المطلوب،

[1]– باتريك شارودو، دومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، دط. تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، مر: صلاح الدين الشريف، تونس: 2008م، دار سيناترا، ص 442.

وذلك حسب ما تفرضه إجراءات هذه النظرية فان أصل الخطاب مقترن بضوابط و قوانين الحوار و المحادثة التي يجب على المخاطب الالتزام بها بالكيفية التي تخدم غرض و مقصد الكلام متسما بذلك بالوضوح و الإبانة قدر المستطاع لتحقيق المقصود التخاطبي.[1]

بالإضافة إلى هذه النظريات نجد نظرية السياق أو ما يعرف بالنظرية السياقية التي تعتبر من أهم استراتجيات الدراسة التداولية للغة وسيكون اختصاص بحثنا حول هذه النظرية و دورها الكبير في تحقيق التواصل الذي يعد من أسمى غايات التداولية.

4.1أعلام التداولية ومشاربهم:

إنّ هذا الاختلاف بين مستعملي هذا المصطلح "المنهج التداولي" يعود إلى اختلاف توجهاتهم وأهدافهم في البحث، وكذا لتعدد أسماء المنظرين الممثلين لها (التداولية) حيث نجد الفيلسوفان: أوستين وسيرل وعالم الاجتماع هوغفمان، وكذا نجد عالما مختصا في اللسانيات الاجتماعية الإثنولوجية هو غمبرز، وتضاف إلى هؤلاء مدرسة ذات توجه نفسي هي مدرسة "بالو آللو".

ولعل ما جاء به فرانسيس جاك هو التعريف الأبسط والأوضح إذ يقول: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا".

بمعنى أنّ التداولية هو البحث في اللغة أثناء العملية التواصلية أي أثناء الكلام، وبهذا ابتعدت التداولية عن النطاق اللساني للغة الذي فرضته البنيوية والتوليدية إذ اقتصروا على دراسة مصطلح لسانيات التواصل للتداولية. فالتداولية تعنى بكل ما يتصل بالعمل الخطابي بحثا عن المعنى وضمانا للتواصل.

ولقد عرفها الفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان": حيث تختص بكل ما كان مضمرا من مظاهر التواصل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"، فالمقصود بمجال التداول هو إذن كل التواصل والتفاعل بين صانعي هذا التراث.

[1] محمد مصطفى هيثم، بين نظرية السياق و نظرية الاستلزام الحواري، مقاربة تداولية، جامعة الوصل بغداد، ص 249

ويعرف "مسعود صحراوي" المنهج التداولي بقوله: «هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز منها "الخطاب" والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية »[1].

اهتمت التداولية أوّلا بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها، فالتداولية تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمونه.

فإنّ التداولية هو العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية "مقبولة وناجحة وملائمة" في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم، فإنّ التداولية تستخدم مفهوما تجريديا يدل على الموقف التواصلي هو "السياق"،فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به.

وما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ التداولية تدرس "اللغة" وبالتحديد "استعمالات اللغة في الطبقات المقامية المختلفة"، فالتداولية هي البحث في الشروط والظروف الملائمة من أجل إنجاح عملية التواصل ونجاعة الخطاب من خلال الأثر الذي تتركه في المتلقي ضمن سياق معين، فهي إذن تبحث في الكيفية التي يصدر ويعي بها الناس فعلا تواصليا أو كلاميا غالبا ما يأتي في شكل محادثة.

تهدف التداولية إلى معالجة « قيود صلاحية أفعال كلامية وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازا تدرس التداولية العلاقة بين النص والسياق ».[2]

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: 1992م، عالم المعرفة، ص 20

[2] – عبد الحق سوداني، أدوات الاتساق والانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة: 2009م، ص 44.

5.1 التداولية والسياق :

كما سبق وان ذكرنا فالسياق من أهم الآليات التحليل والبحث التداولي فمن خلال السياق يمكن فهم العلاقة التي تربط اللغة و مستعمليها، كما تهدف هذه النظرية الى فهم الخطاب وتسمح بمعرفة:

1الاساليب المختلفة للمنطوقات، و تصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها.

2 وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيأ فريدا

3 معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية

4 إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و المشتركون في الخطاب

5 تحديد بيئة الكلام لعدم الخلط بين اللغات

6 تحليل الكلام إلى عناصره الداخلية لكشف عن العلاقة التي تربطها ببعضها من اجل تحديد المعنى.[1]

وبهذا فان النظرية السياقية إحدى الآليات الرئيسية في البحث التداولي لما تتيح له من إجراءات تساعد في الوصول إلى أهدافه وهذا ما سنبيه في ما يلي من هذا الفصل.

[1] صلاح الدين زرلال، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي،مجلة الاثر،عدد خاص أشغال الملتقى الدولي في تحليل الخطاب،جامعة ورقلة، ص3

2السياق:

1.2.المفهوم:

-في المعاجم العربية:

جاء في لسان العرب تحت مادة سوق السوق معروف وساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا و هو سائق سواق انساقت تساوقت الإبل تسوقا إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة.[1]

ولقد ذهب ابن فراس إلى السين و الواو و القاف كأصل واحد وهو حذو الشيء ويقال ساقه يسوقه سوقا و السيقة ما استيق من الدواب ويقال سقت إلى امرأتي صداقها واسقه و السوق مشتقة من هذا لمل يساق إليها من كل شيء و الجمع أسواق' والساق للإنسان وغيره والجمع سوق وإنما معين بذلك لان الإنسان ينساق إليها.[2]

ورد في كتاب أساس البلاغة لزمخشري :هو يسوق ي أحسن سياق واليك سياق الحديث، وهذا الكلام ساقه هذا كذا وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده.[3] والمقصود بالسرد والتوالي، وورد في القران الكريم قوله تعالى:"وجاءت كل نفس معها سائق و شهيد".[4]

وقيل في التفسير:سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها وانشد ثعلب

لولا قريش هلكت معد واستاق مال الأضعف الأشد .

وقال شاعر : ما الناس في شيء من الدهر والمنى وما الناس إلا سيقات المقادر.[5]

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، م10، دار صادر،ط1، بيروت1990، ص166.

[2] مراد حاج محند ،السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية و التراثية، رسالة ماجستير،جامعة مولود معمري تيزي وزو،2012،ص9.

[3] المرجع نفسه،ص9.

[4] سورة ق، الآية .21

[5] مراد حاج محند ،السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية و التراثية، ص9.

ومن هذه التعريفات نلاحظ أن معاني السياق تدل الحدث و التتابع أو الإيراد.

ويقال أيضا فلان في السياق أو في النزع وللسياق نزع الروح وأصله سواق فقلبت الواو ياء بكسر السين و هما مصدران من ساق يسوق والمعنى هنا هو الموت، ففي الحديث دخل سعيد على علي و هو في السوق كان روحه تساق لتخرج من بدنه ويقال له السياق أيضا.[1]

لقد جمع الدكتور "ردة الله بن ردة بن طيف الله الطلجي"مفهوم كلمة السياق في التراث العربي في ثلاثة أمور هي:

الأولى:إن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو من المفاهيم التي عبر بها بلفظ السياق (السوق).

الثانية: إن السياق هو الظروف و المواقف و الأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما قيل عن هذا المفهوم لفظا الحال و المقام.

الثالثة: إن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما سبق أو لحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجها استدلاليا[2].

إن اختلاف معاني لفظ السياق يعود إلى اختلاف مستعمليه بين علماء الدين إلى علماء البلاغة وصولا إلى النحاة، فلكل فئة مفاهيمها الخاصة بها.

[1] د سالم صالح محمد، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دوره هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، جامعة جدة، السعودية، ص1.

[2] قواوة الطيب الغزالي ، الانسجام النصي و أدواته ،مجلة المخبر،العدد الثامن، ص64.

-السياق عند البلاغين:

اهتم البلاغيون بالسياق منذ القديم وأولوه الأهمية الكبيرة في الدراسات اللغوية لمساهمته الكبيرة في الوصول إلى المعاني، وفهم المقاصد وأغراض المتخاطبين.

ويظهر إدراك البلاغيين لأهمية السياق في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكانت مقولتهم المشهورة في هذا الصدد "لكل مقام مقال" و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام)[1].

وهذا القول يعني أنّ الخطاب لا يقتصر على السياق اللغوي بل يتجاوزه إلى فهم السياق المقامي (سياق الحال). ولقد كان هذا الاعتراف بفكرتي المقام والمقال بوصفهما ركنين أساسيين في تحليل المعنى يعد الآن من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[2].

وكانت آراء البلاغيين في السياق ومفهومه ودوره في تحديد المعنى متعددة ومتباينة، وهذا من خلال البحوث اللغوية والتي كانت تخص النص القرآني، ولقد توقفنا عند البعض منهم لإعطاء فكرة وإشارة للسياق بمنظور البلاغة العربية القديمة.

قبل التطرق إلى آراء البلاغيون في السياق ودوره في تحديد المعنى والفهم، يجب توضيح مصطلحي "المقام" و"المقال"

[1]- جاب الله عبد العزيز أسامة، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق، جامعة كفر الشيخ، د ت، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

الفرق بين المقام والمقال:

اشتهر البلاغيون بمقولتهم الشهيرة التي تلح بالعلاقة الموجودة بين المقام والمقال (لكل مقام مقال)[1].

المقال هو السياق اللغوي بالتعريف أو المفهوم الحديث في الدراسات المعاصرة اللغوية وهو كل ما يربط بين الألفاظ والتركيب داخل النسيج اللغوي.

أما المقام فهو سياق الموقف بالمفهوم المعاصر، فهي الظروف المحيطة بالخطاب وعملية التخاطب من أحوال المتكلم ومقاصده وأوصافه، كما لا يجب إهمال العلاقة الموجودة بين المقال والمقام فكل منهما يتمم الآخر من أجل الوصول إلى المعنى والفهم.

ويقول بشر بن المعتمر في هذا الصدد: « المعنى ليس بشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس بقبح بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال ».[2]

وكما خص الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" مبحثا عن سياق المقام كما كان كلامه عن تمييز أصناف الدلالات إلى المعاني مدخلا لتمييز أساليب الدلالة على الأغراض، وما تلك الأساليب للوصول إلى غاية المتكلم.

يقول الجاحظ: «أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: أوّلها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة ».[3]

[1]– جاب الله عبد العزيز أسامة، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، ص 13.

[2]– المرجع نفسه، ص 14.

[3]المرجع نفسه ، ص14

والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقتصر عن تلك الدلالات ولكل واحدة من هذه الدلالات صورة واضحة عن صورة صاحبتها وحِلية مخالفة لحِلية أختها وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير.

وبهذا التحليل توصل الجاحظ إلى تفسير عملية التواصل اللغوي وبكل أبعاده ضمن أمر يتحدد بأنّ لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من اللفظ ولهذا يجب إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وهذا ما يعرف في اللسانيات التداولية المعاصرة بمراعاة حال المتلقي.

ولقد ركّز البلاغيون كثيرا على سياق المقام أو سياق الموقف بالمصطلحات المعاصرة لدوره الكبير في إيصال الرسالة ضمن السياق الذي يعين على الفهم السليم والصحيح، وقد أكّد تعديد من البلاغين على ضرورة مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب، ومكاتبة كل فريق منهم على قدر طبقتهم وقوتهم في المنطق.

ويمكن الاستشهاد على ذلك بفعل النبيّ "صلى الله عليه وسلم" وهو إذا أراد أن يكتب إلى أهل الفرس كتب بما سهل ترجمته من الألفاظ كما تكون غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخّم اللفظ، لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله.

لقد ربط عبد القاهر الجرجاني السياق بنظرية النظم وهذا أثناء حديثه عن نظريته، إذ لا يعد الكلمة نقطة البدء –كما يظن– وإنما العكس هو الصحيح، فالسياق نقطة البدء بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله، وحينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث في الألفاظ وعلاقتها فيه ثانيا[1].

[1]– جاب الله عبد العزيز أسامة، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، ص 16.

ومن هذا المنظور يمكن القول أنّ الجرجاني أعطى للألفاظ أهمية كبيرة أثناء دخولها ضمن علاقة مع بعضها أي أثناء الاستعمال أو السياق، فهي تستمد مفهومها ومعانيها من خلال ارتباطها ببعضها من تقديم أو إعطاء رسالة لغوية تكون مفيدة[1].

لقد بدا جليّا أنّ البلاغيين العرب هم السباقون إلى اكتشاف وتقسيم السياق إلى نوعين هما المقال والمقام أي السياق اللغوي وسياق الموقف، فهم سبقوا الغرب بمئات السنين، وحتى أنّهم عرّفوا البلاغة بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو المقام (سياق الموقف) فتختلف المقامات عندهم بحسب مقتضى الأحوال فمقام المدح غير مقام الفخر والدعاء أو لاستعطاف أو الهجاء...الخ.[2]

وأما عن بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال يختلف باختلاف حال الكلام من تعريف وتنكير، وإطلاق وتقييد، والتقديم والتأخير...الخ.[3]

ومن خلال هذه البحوث والدراسات فإنّه يمكن القول بأنّ السياق عرّف المفهوم العصري في الدراسات المعاصرة منذ ألف سنة على يد البلاغيين العرب الذين عرفوا قيمته ودوره في التوصل إلى المعنى.

[1]- جاب الله عبد العزيز أسامة، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، ص 16.

[2]- المرجع نفسه، ص16

[3]- المرجع نفسه، ص 16- 17.

-السياق عند الغربيين:

يتحدث أولمان عن المصطلح بقوله كلمة Contexte قد استعملت حديثا في معان مختلفة منها النظم اللفظي لكلمة وموقعها من ذلك النظام، لذا فالسياق ينبغي إضافة إلى اشتماله الجمل الحقيقية السابقة واللاحقة أن يتضمن القطعة كلها والكتاب كله وكل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، كما أنّ للعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام دورا بالغا في هذا الشأن[1].

فالسياق يتمثل في معرفة معنى الكلمة أو المفردة انطلاقا من معرفة العلاقات التركيبية التي وردت فيها هذه المفردة، بالإضافة إلى الاطلاع إلى كل الملابسات والظروف المحيطة بهذه الكلمة.

أما السياق تداوليا فقد عرفه "سبربر" و"ولسن" على أنّه:«جزء صغير من المحيط المعرفي لفرد ما هو بذلك ليس أمرا معطى دفعة واحدة، إنّما يتشكل السياق من المقدمات المنطقية انطلاقا من مصادر شتى كالمعارف الموسوعية وإدراك المقام وتأويل الأقوال السابقة »[2].

أي لنتوصل لإدراك السياق والتعرف عليه لا بدّ من وجود معطيات أولية؛ كالرصيد المعرفي فبالتالي من شروط تحقيق ذلك العودة إلى الترسبات المعرفية والثقافية للفرد المكتسبة من مصادر عدّة.

وقد ورد في معجم تحليل الخطاب لدومينيك مانغنو تعريف للسياق حيث قال: إنّ للسياق عنصر ما "س" هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر عندما تكون "س" وحدة لغوية (من طبيعة وكمّ متغيرين صوتم، صرفم، جملة ملفوظ) فإنّ محيط "س" يكون في الآن نفسه من طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير اللغوي (المقامي، الاجتماعي، الثقافي).[3]

---

[1]- مراد حاج محند، السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية، ص 16.

[2]- نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم-سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر: 2007م، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص30

ويستعمل لفظ "السياق" بحسب المؤلفين، للإحالة خاصة إما إلى المحيط اللغوي للوحدة ويفضل آخرون تسميته جريا على استعمال بدأ يعمّ Contexte (السياق المقامي) وإما إلى مقام التخاطب[1].

يحيلنا هذا إلى أنّ السياق نوعين؛ لغوي وغير لغوي، فاللغوي يتمثل في علاقة الكلمة بمختلف الكلمات السابقة واللاحقة لها، أما فيما يخص النوع الثاني فإنّه يتمثل في الظروف المحيطة بهذه الكلمة (الزمان والمكان).

وقد جاء في تعريف "ماري نوال غاري بريور" بأنّ السياق يدل عموما على مجموع الظروف التي تصاحب ظهور الملفوظ، وبهذا المعنى لا يغدو السياق مكوّنا من علامات فحسب ولكنه يشمل مختلف العناصر التي تسهم في فعل التلفظ (المحيط الفيزيائي، الظروف التاريخية والاجتماعية، معارف ونفسيات المشاركين في عملية التخاطب)[2].

وهذا يؤدي بنا إلى القول بأنّ سياق أي وحدة لغوية يتحدد من خلال معرفة الظروف المحيطة بهذه الوحدة اللغوية.

أولى العالم اللغوي الفرنسي "فندريس" أهمية كبرى للسياق واعتبره العامل الفاصل الذي يحدد المعنى المقصود من الألفاظ المشتركة. فسياق النص هو الذي يعيّن المعنى بدقة لأنّ المعجم لا يمنح إلّا المعنى الأساس بينما السياق يعيّن قيمة الكلمة في كل الحالات ويخلصها من قيود الذاكرة[3]. فبذلك لا تتخذ الكلمة معناها إلّا داخل السياق.

يرى "جون لاينز" أنّ تفسير الوحدات الكلامية يجب أن ينطلق من نظريات العلوم الاجتماعية بصورة عامة إلى جانب علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع فهم الوحدات الكلامية يستمد من ظروف محيطة بهذه الوحدات.

---

[1]– باتريك شارودو، دومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: حمادي صمود، عبد القادر المهيري، تونس: 2008م، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ص 133.

[2]– ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ط1. تر: عبد القادر فهيم الشيباني، الجزائر: 2007م، ص 15.

[3]– مراد حاج محند، دور السياق في استنباط الأحكام النقدية التراثية، ص 26.

وقد جعل من السياق أداة لتفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة ويحدد جون لاينز معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة في تحليل النص:

- أية جملة تمّ نطقها.
- أية قضية تمّ التعبير عنها.
- تدعيم قضية قوة لا كلامية للقضية[1].

ربط بين الوحدات الكلامية والوحدات غير الكلامية فجعل من هذه الأخيرة (الوحدة الكلامية إشارات، ملابسات، إيماءات) منطلق لفهم الوحدات الكلامية.

لقد اهتم كل من "هاليداي" و"رقية حسن" بسياق المقام فرأوا أنّه ذو تأثير على النص، ويشير الباحثان إلى أنّ علاقة المقام بالنص علاقة متغيرة، يوجد أنواع من النشاطات تقوم اللغة فيها بدور ثانوي مثل: الألعاب الرياضية أو في أشغال يدوية كالبناء، فمن المستحيل تأويل كل ما يقال أو ما يكتب دون وجود معلومات مقاميه[2]، حيث جعلوا من المقام منطلق لفهم مختلف الأنشطة التي تلعب فيها اللغة دورا ثانويا.

[1]- مراد حاج محند، دور السياق في استنباط الأحكام النقدية التراثية، ص 35.

[2]- شريفة بلحوت، طبيعة النص وعلاقته بالمقام –من منظور هاليداي ورقية حسن–، ملتقى اللسانيات والرواية، مجلة الأثر، العدد01،جامعة قصدي مرباح ورقلة، 2012م، ص 129- 130.

-النظرية السياقية الحديثة لجون فيرث:

ظهرت هذه النظرية من خلال المجهود اللغوي للمدرسة الاجتماعية الانجليزية التي يتزعمها العالم اللغوي "جون روبير فيرث"، و هذا الأخير الذي تأثر بأفكار العالم الأنثروبولوجي البولاندي "مالينوفسكي" الذي يرى أنّ اللغة: "تعمل كأداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه، فهي ضرب من النشاط وليست أداة تفكير وما الكلمات إلا أدوات لا يكمن معنى الأداة إلا من خلال استعمالها".[1]

يتضح من خلال هذا بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتسم بصفة الاعتباطية فهي مخزون ذهني لا تتجسد إلا من خلال تداولها بين أفراد المجتمع.

فالنظرية السياقية عند فيرث نظرية وظيفية شاملة في اللغة وليس فقط في الدلالة اللغوية.[2]

تقوم نظرية السياق على فكرة ما عرفت قديما لدى علماء البلاغة "لكل مقام مقال" وإذا كان علماء البلاغة قد تمثلوا تماما فكرة المقام، فإنّ علماء اللغة المحدثين كانوا أكثر التفاتا للتفاصيل التي تحيط بالمقام والسياق ودورهما في تحديد الدلالة[3]. فعلماء البلاغة القدامى اهتموا بالمقام بمعزل عن الظروف المحيطة به في حين أنّ العلماء المحدثين اهتموا بالمقام بالإضافة إلى الظروف المصاحبة له.

وقد رأى فيرث أنّ فكرة السياق تمثل حقلا من العلاقات اللغوية وغير اللغوية، الداخلية والخارجية وكان يرى أنّ عالم اللغة الذي يريد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي أو الكلامي عليه أن يبدأ أوّلا بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية المكونة له من أصغر وحدة صوتية وهي الفونيم إلى أكبر الوحدات اللغوية مثل الكلمة والجملة[4].

---

[1]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط1. الجزائر : 2005م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 177.

[2]- عدنان بن زردية، اللغة والدلالة، آراء ونظريات، دمشق: 1981م، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ص 165.

[3]- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، القاهرة: 2001م، دار الطباعة والنشر والتوزيع، ص 19.

[4]- فوزي عيسى، رانية فوزي عيسى، علم الدلالة، النظرية والتطبيق، ط1. الإسكندرية: 2008م، دار المعرفة الجامعية، ص 111.

والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليه، والسياق هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية[1].

وما يمكن أن نستقيه من خلال هذه الآراء بأنّ السياق يتجسد من خلال التلاصق الركني للمفردات أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات أخرى، بالإضافة إلى معرفة الظروف المحيطة بهذه المفردات (معرفة مميزات شخصية المتكلم والمستمع وكذا الزمان والمكان).

ويذهب فيرث إلى أن الكلمة عندما تستخدم في سياق جديد تعد كلمة جديدة، فهو ينظر إلى النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طيّاتها مقوّمات القول، أي أنّ معاني الكلمة تختلف وتتنوع تبعا لتنوع السياقات التي ترد فيها.

يرى فيرث وأتباعه أنّ معنى الكلمة يتحدد من خلال استعمالها في السياق، حيث أنّ الوحدات الدلالية تقع في الوحدات الأخرى ومعاني هذه السياقات والمواقف التي ترد فيها، سواء كانت السياقات لغوية أم غير لغوية، فاتبعوا في ذلك منهج الدراسات الفيلولوجية في تحقيقها للنصوص القديمة، معتبرين أنّ معنى الوحدة اللغوية يتحقق بوضعها في سياقات معينة، وذلك عن طريق استقراء جميع السياقات التي تحققت عنها[2]. إنّ تعدد معاني الكلمات يقوم على تعدد السياقات التي ترد فيها.

اهتم فيرث بالوظائف الاجتماعية، والتعبيرية أو القرائنية للغة أكثر من اهتمامه بالوظائف الوصفية أو المعرفية التي لها[3].

كما اهتم فيرث بالسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، ويكمن اهتمامه بالسياق اللغوي في تحديد نظام اللغة في عدة مستويات منها الصوتي والنحوي والصرفي والمعجمي... إلخ. وتحديد المعنى مبني على تحديد هذه المستويات:

---

[1]– رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، ص 20.

[2]– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر : 2000م، دار القصبة للنشر، ص 120.

[3]– عدنان بن زردية، اللغة والدلالة، آراء ونظريات، ص 166.

1المستوى الصوتي: يدخل ضمن هذا المستوى القافية في الشعر والسجع في الجناس.

2المستوى النحوي: يشمل هذا المستوى قواعد تركيب الجملة وكذا نظام الإعراب.

3المستوى الصرفي: ينظر في صيغ وأوزان الأسماء وفي صيغ الأفعال.

4المستوى المعجمي: ينظر في السياقات المتعددة للكلمة.

جعل فيرث السياق إطارا منهجيا يطبق عليه الأحداث اللغوية ولما عدّ مهمة البحث اللغوي هي دراسة دلالية في جلّها على عكس ما ذهب إليه بلوم فيلد Bloomfield، بات من المؤكد تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها الكلمات حتى ما كان منها غير لغوي[1]. ربط بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي بغية فهم معاني الكلمات.

وما يمكن أن نتوصل إليه في الأخير أنّ هذه النظرية قد أولت أهمية كبيرة للسياق فجعلت منه منطلقا لتحديد معاني الكلمات، وذلك من باب أنّ الكلمة خارج السياق لا معنى لها وهذا أمر مبالغ فيه وذلك لكونها تتوفر على معنى واحد على الأقل خارج السياق للصعوبة تطبيقها وذلك لأنّ معجم اللغة واسع لا يمكن ضبط السياقات فيه، فهو يتغير باستمرار بتغير ظروف التبليغ والتعبير أي لا يمكننا حصر جميع السياقات التي يمكن أن ترد فيها الكلمة.

[1]– مراد حاج محند، دور السياق في استنباط الأحكام النقدية التراثية، ص 31.

3أنواع السياق:

1.3السياق اللغوي للمثل الشعبي القبائلي:

لقد قسم جون فيرث رائد النظرية السياقية السياق إلى قسمين وهما:

السياق اللغوي و سياق الموقف أو الحال و لكل قسم دوره في تحديد المعنى و فهم الخطاب ولابد من الاستعانة بكلا القسمين للتوصل إلى المعنى والغرض من الخطاب.

يعتبر السياق اللغوي احد شقي النظرية السياقية أما شقها الثاني فهو السياق غير اللغوي و هذا كما حدده اللغوي الانجليزي مؤسس هذا الاتجاه جون روبير فيرث.[1]

يرى فيرث أن السياق لا تحدده الكلمة بدلالة ذاتية و منعزلة بل هي مجموعة تلك الخصائص التي تربط الكلمات والجمل، فليس لها معنى مستقل قائم بذاته... وأن وجودها ومعناها شيء نسبي يمكن ملاحظته في سياق غيرها من الكلمات والمعاني، أو عن طريق التقابل بينها، و على هذا فان ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلى بوظائف غيرها من الكلمات... .[2]

وبهذا المنظور يظهر أن المعنى لا يكمن في الذهن و لا في علاقة الصورة السمعية مع الصورة الذهنية أو بين الدال والمدلول أو بين اللفظ و المعنى، وإنما هو ما أكده فيرث بقوله:(الوظيفة في السياق حالا و مقاما) وبعبارة أخرى المعنى يكمن في السياق الذي تحدده العلاقة بين المواقف و توزيع العناصر اللغوية.[3]

---

[1] غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر ،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر بسكرة،ع6، 2010، ص1.

[2] المرجع نفسه، ص2.

[3] المرجع نفسه، ص ص2-3.

قسم فيرث السياق اللغوي إلى عدة أقسام و ذلك بغية التدقيق في دراسة هذه العناصر اللغوية و علاقتها ببعضها البعض وهذه الأقسام هي كالتالي: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي.

1.1.3المستوى الصوتي:

وهو ذلك النمط من الدراسة لأصوات اللغة باعتبارها البنية الأساسية لها و المظهر المادي لها، ولقد اوجد الفكر الإنساني أسلوبين لدراسة الظاهرة الصوتية وهما: علم الأصوات اللغوي (phonétique) وعلم الأصوات الوظيفي (phonologie).[1]

وأما علم الأصوات اللغوي فهو يعنى بدراسة هذه الأصوات اللغوية كمادة بعيدة عن الاستعمال في التواصل و هو يدرس مادة الأصوات لا وظيفتها فيبحث في مخارجها و بنيتها كما لا يقتصر هذا العلم على دراسة أصوات لغة معينة بل يدرس الصوت اللغوي في مسائله العامة و خصائصه المشتركة بين جميع اللغات.[2]

وأما علم الأصوات الوظيفي فهو يدرس وظائف هذه الأصوات كما يختص باللغة معينة فيبحث في خصائص أصوات تلك اللغة و يحدد العناصر المكونة لنظامها اللغوي وطرق تناسقها في أشكال معينة، كما يتناول ظواهر تلك المقاطع الصوتية كالنبر والتنغيم والوقف، إلى القوانين التي تخضع لها كل واحدة منها، وهذا ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة باسم دراسة الفونيم الذي يعد الركن الأساسي للنظام اللغوي باعتباره الوحدة الرئيسة في التحليل.[3]

سنخص هذا الجانب من البحث بدراسة ثلاث جوانب صوتية لها التأثير الكبير في توجيه السياق و تحديد المعنى،فهذه المصاحبات الصوتية لها الدور الجلي في تغير المعنى

[1] ينظر غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث،ص3

[2] المرجع نفسه، ص 3

[3]المرجع نفسه ، ص ص 3-4

و القصد من الكلام و تتمثل هذه الجوانب الصوتية كما حددها جون فيرث في: النبر والتنغيم والوقف.

أ) النبر (stress):

وهو بروز نسبي أو وضوح صوتي لفونيم في مقطع من الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الارتكاز على ذلك الفونيم،ومن خلاله يمكن تحديد معنى تلك الجملة ك الاستفهام أو الاستخبار أو الاستهزاء أو غيرها... .[1]

و لإبراز دور النبر في تحديد المعنى سنعرض نصا من الأمثال الشعبية القبائلية:

"وين ابغان امان ايفغ غ تالة" .

ومن أجل تقريب معنى المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: من أراد الماء توجه إلى المنبع.

والمعنى الذي يحمله هذا المثل هو أن من أراد شيا عليه الاجتهاد من أجل الوصول إليه و مقابله من الأمثال العربية الفصيحة هو من جد وجد ومن زرع حصد، نلاحظ جليا عند الارتكاز على المقطع الصوتي الأول من نص هذا المثل "وين" التي تعني" من " أراد شيأ عليه بالبحث عنه، والنبر الذي وقع في المقطع أفاد معنى الوجوب وضرورة القيام بالعمل بغية الحصول على نتيجة، ومن هنا نلاحظ الدور الكبير للنبر في توجيه السياق و تحديد المعنى في نصوص الأمثال الشعبية القبائلية.

وكمثال آخر لإبراز الدور المهم للنبر في تحديد المعنى نذكر نصا من الأمثال الشعبية القبائلية: "**امغبون ذ وين ارنسعي راي**"[2]

[1] غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، ص4.

[2] Tahar hamadache, nnan imzwura, proverbes berbères de Kabylie, p78.

ولتقريب معنى هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية : الفقير من لا رأي له، والمغزى من هذا المثل هو أن على الإنسان أن يتمتع برأيه الخاص به عن الأشياء و يؤمن به لا أن يترك الآخرين يقررون في مكانه لان ذلك يجعله فقيرا ، فهذا المثل يضرب على الإنسان الذي لا يتمتع برأي و مكانة في المجتمع.

نلاحظ النبر في المقطع الأخير من نص هذا المثل الذي أفاد معنى التوكيد و التخصيص فلقد جعل من صفة الفقر ميزة يتميز بها الشخص الذي لا يتمتع برأي كما أكد على ذلك وهذا ما جعل النبر في المقطع الأخير.

يلعب النبر دورا مهما في تحديد المعنى و السياق وهو يتيح للمتكلم التركيز على قضية بغية تأكيدها أو نفيها فهو جزء رئيسي في التحليل للفهم و التوصل إلى المعنى و الأمثال الشعبية القبائلية مثال واضح لدور الذي يلعبه النبر في معنى و مغزى تلك الأمثال.

ب) التنغيم:

هو الايطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق أو هو درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه على مستوى العبارة أو الجملة.[1]

فالتنغيم هو المجال الصوتي، أو نسبة ارتفاع الصوت أو انخفاضه أثناء النطق بالكلام مما يساهم بشكل كبير في تحديد المعنى و إبراز القصد من الخطاب، فدوره الكبير يتجلى في تغير المعنى في النص هو الجملة الواحدة وكمثال على ذلك نذكر هذا النص من الأمثال الشعبية القبائلية : " **تمديث ادقرن مدن لع سلما**"[2]

ولشرح معنى المثل سنذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية : " لخبر يجيبوه التوالى"

[1] غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، ص5

[2] رواه السيد أيت عبد الوهاب بلقاسم، منطقة أميزور، بجاية،04.04 .2013

والمغزى من هذا المثل هو إن نتائج الأعمال التي يقوم بها الإنسان تأتي في النهاية فأنت سترى نتائج أعمالك عندما يكون الوقت قد فات، لذلك ينبغي على الإنسان التفكير قبل الشروع في أي عمل كان.

إن التلفظ بصوت مرتفع لنص هذا المثل قد يفيد المعاتبة واللوم فكلما كان درجة النطق بالمثل مرتفعة أفاد ذلك معنى اللوم و العتاب و درجة هذا مرتبطة بذاك، وان كانت درجة النطق به عادية فهو يفيد التحذير من عواقب ذلك العمل أو الصفة ك الكسل أو الإهمال، كما يمكن أن يحمل نص هذا المثل معاني النصح والإرشاد إن كانت درجة النطق به منخفضة.

ومن هنا يتبين لنا أن التنغيم يساهم في توجيه السياق وتحديد المعنى من الكلام، فنراه يحمل معاني مختلفة في نص المثل الشعبي القبائلي هذا من عتاب و لوم إلى تحذير إلى نصح و إرشاد.

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ الدور الهام الذي يلعبه التنغيم في توجيه السياق و تحديد المعنى إلى مقاصد المخاطب، كما نلاحظ أن كلما كان التنغيم مرتفعا في نصوص هذه الأمثال الشعبية القبائلية أفادت معاني التوكيد و المعاتبة و التهريب أو التحقير أو التأنيب

وان كانت درجته منخفضة أفاد ذلك معاني التحذير و النصح و الإرشاد و أخذ بالعبرة.

ج) الوقف (pause):

هو فونيم إضافي هو وقوف تركيبي مصاحب لكلام، وهو إحدى العناصر المميزة للنظام الصوتي للغة،و له دور وظيفي كبير في تحديد دلالة الكلام وان عدم الالتزام به في الخطاب قد يؤدي إلى الوقوع في الخطأ.[1]

[1] غنية تومي، السياق في الدرس اللساني الحديث،لسياق اللغوي، ص5

الوقف إيقاف الكلام في موضع يستلزم ذلك من اجل الإشارة إلى معنى معين فهو جواز الوقف أثناء الخطاب، وسنبين دور الوقف في تحديد المعنى من خلال نص هذا المثل الشعبي القبائلي: "**وين ايشان ايشا وين اورنشي وقف ثاربويث ثتواكس**"

ومن أجل تقريب معنى هذا المثل سنذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية: "لي فاتوا كلام يقول سمعت و لي فاتوا طعام يقول شبعت" ويضرب هذا المثل لدلالة على أهمية الوقت و وضرورة الالتزام به فلا ينبغي تبذيره في الراحة و الأعمال غير المفيدة.

نلاحظ الوقف في المقطع" وين اورنشي (الذي من لم يأكل)، فإذا لم نتابع الكلام سيؤدي ذلك إلى خلل في المعنى و يجعله غير تام و كامل، لذلك وجب علينا إكمال الخطاب إلى المقطع الأخير " ثاربويث ثتواكس" الذي يعني (الطعام انتهى)، وبهذا يجوز الوقف في ذاك المقطع لكن بإتمامه بالمقطع الأخير.

وكمثال أخر لدور الوقف في توجيه السياق و تغير المعنى كما يلعب دور خلق التساؤل بالنسبة للمتلقي، اذ يجعله الوقف في حالة استفسار عما يلي الكلام و هذا ما نلمحه في نص هذا المثل الشعبي القبائلي.

وين ابغان قاقا وقف **اذيلقط زازا**

وين ابغان اذيتش لسفنج وقف **اذ يفك ناناس**

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: من أراد الثمار عليه أن يجمعها ومن أراد أكل الحلوى عليه أن يزف أخته.

إن الوقف قبل المقطع الأخير من الشطر الأول من نص هذا المثل يخلق نوعا ممن التساؤل و الاستفسار من قبل المتلقي، لذلك ينبغي على المتكلم تتمة الكلام بالمقطع الأخير الذي يزيل الشك عن المتلقي و يجعل المعنى أكثر وضوحا.

يصح الوقف في اغلب حالات الكلام فهو يجعل المعنى أكثر وضوحا وهو إحدى الفونيمات الصوتية التي تساهم في توجيه السياق و تحديد الدلالة والمعنى.

تبين لنا من خلال الأمثلة السالفة الذكر، الدور الكبير الذي تلعبه المصاحبات الصوتية من نبر و تنغيم و وقف في تحديد المعنى بشكل كبير و توجيه سياق الخطاب إذ أنها عناصر لغوية رئيسية يقوم عليها الكلام و لا يخلوا أي خطاب من هذه المصاحبات الصوتية، لذلك ينبغي على الدارس أثناء دراسته لسياق أن يركز على هذه العناصر الصوتية، وهذا ما اقر به رواد النظرية السياقية الحديثة و على رأسهم جون روبير فيرث.

2.1.3المستوى الصرفي:

أو المستوى المورفولوجي وهو يمثل الحلقة الوسطى بين المستوين الصوتي و التركيبي، وهذا العلم يقوم بدراسة التغيرات التي تطرأ على هيأة الكلمات و أوزانها،و ما يضاف إليها من سوابق (préfixe) و لواحق (suffixe) و حشو (infixe) وهذه الأخيرة تؤدي إلى تغير في دلالة الكلمات ممل يغير المعنى أثناء الخطاب ويعد المرفيم أساس هذا التحليل.[1]

وللكشف عن هذه التغيرات في المعنى سنتطرق إلى دراسة التغيرات التي حصلت على نص هذا المثل الشعبي القبائلي: "**اظ اسيزمرن ذ لفجر**"[2] .
ومن أجل تقريب معنى نص هذا المثل سنحاول ترجمته إلى اللغة العربية: "الليل يخشى الفجر " ويضرب هذا المثل لدلالة على معنى مفاده أن لكل شيء نقطة ضعف، حتى الليل فهو يهاب الفجر الذي يأتي معه النور ليذهب ظلام الليل الحالك.

نلاحظ التغير الذي طرأ على جذور الكلمات في نص هذا المثل فكلمة "اسيزمرن" التي تعني "يقدر عليه" تغيرا في جذرها اللغوي الذي هو في الأصل "يزمر" التي تعني "يقدر"

[1] غنية تومي، السياق الغوي في الدرس اللساني الحديث، ص5

2 Tahar hamadache, nnan imzwura, proverbes berbères de Kabylie, p79

وسنحاول تحديد هذا التغير: اسي زمر ن إن كلمة زمر دخلت عليه سابقة تتمثل في "اسي" و النون ضمير يعود على الليل، وهذه السابقة قد ساهمت في تغير دلالة الكلمة فزادت لمعنى دقة و تحديدا و قوة.

وكمثل أخر من نصوص الأمثال الشعبية القبائلية التي تبين الدور الكبير للتغيرات التي تحدث على الكلمات في توجيه السياق و تحديد الدلالة إلى مراد المتكلم نذكر نص المثل الشعبي القبائلي: "**وين إسحفظن أخير من إديتكان**".

ومن اجل شرح معنى هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الذي يعلم خير من الذي يعطي

يضرب المثل للدلالة على قيمة العمل وتجعله السبيل إلى النجاح في الحياة وكذلك يقر نص هذا المثل بالتعلم لأن ذلك يجعل الناس تكتسب مهارات وحرف تساعد في الحياة كما تساعد الغي من أفراد مجتمعه.

نلاحظ أن اللاحقة في كلمة (اسحفظن) التي تعني يعلم قد تغير معناها بعد ما كان في الاصل يتعلم (احفظن) أصبح يدل على التعليم، فالسابقة (س)غيرت من معنى الكلمة.

هنا يظهر الدور الكبير للسوابق و اللواحق التي تدخل على الكلمات لتغير من معانيها اذ أن هذه التغيرات التي قد تحصل على بنية الكلمات تقوم بتوجيه السياق إلى معنى معين و قد يتمثل ذلك في معاني مثل التوكيد أو تخصيص لعدد هو لجنس و لهذا فيرث هذا التحليل مراحل الدراسة من أجل الوصول إلى المعنى.

3.1.3المستوى التركيبي:

يمثل الحلقة الثالثة في مستويات التحليل اللغوي، وهو يبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجمل وطريقة بنائها و صلتها ببعضها البعض و التغيرات التي تطرأ على عناصرها من تقديم و تأخير أو حذف و زيادة.[1]

إن كل هذه العناصر النحوية لها دور كبير في تحديد المعنى و السياق وهذا ما سنبينه في نص هذا المثل الشعبي القبائلي: "**ذي ديق ايتفان ورڤاز وين اصبرن ايلاز**"

ولشرح نص هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: في وقت الشدة يظهر الرجل الذي يصبر على المحن و الضيق، ويضرب هذا المثل ليظهر المعنى الحقيقي لرجولة و المروءة و ليبين أن وقت المصاعب و الشدائد وحده كفيل بان يظهر معدن الرجل الحقيقي و يبين مدى رجولته.

يتجلى لنا إن في نص هذا المثل الشعبي القبائلي تقديم و تأخير فعوض أن يكون النص على هذا النحو: "ارقاز يتفان ذي ديق ذ وين اصبرن ايلاز" جاء على غير ذلك مما ساهم في توجيه السياق و المعنى وتغيره إلى هدف المخاطب، فأعطى لنص المثل معنى التوكيد كما جعل أسلوبه غاية في الجمال الذي تلاءم مع قصد المتكلم و بنية المثل اللغوية.

و كمثال أخر لإبراز الدور المهم الذي بلعبه التقديم و التأخير في تغير المعنى و توجيه السياق نذكر نص المثل الشعبي القبائلي: **بو يلس مدن اك ينس**[2]

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: صاحب اللسان الحلو يملك قلوب الناس، ومقابل هذا المثل في الأمثال الشعبية العربية هو :اللسان الحلو يرضع اللبة (اللبؤة).

[1] غنية تومي، السياق الغوي في الدرس اللساني الحديث، ص6

[2] Sakina ait Ahmed –Slimani, proverbes berbères de Kabylie, P102

وهذا المثل يحمل معنى أن الإنسان الذي يعرف كيف يتكلم مع غيره فيحترم الصغير والكبير و يكون متفهما يكون دائما محبو بين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

نلاحظ أن في نص المثل تقديم و تأخير فعوض أن يكون الكلام في الأصل: مدن ن بو يلس، والتي يعني أن قلوب الناس ملك صاحب اللسان الجميل أي يتقن فن الكلام مما جعل نص المثل أكثر جمالا في الأسلوب و أدق في المعنى.

تساهم كل هذه العناصر اللغوية في تغير المعنى فهو تسمح للمخاطب بان يوجه خطابه إلى السياق الذي يخدم قصده و غرضه، لذلك يتعين علينا التركيز على هذه الظواهر النحوية في بحثنا على سياق هذه الأمثال الشعبية القبائلية.

4 المستوى الدلالي:

يعتبر المستوى الدلالي أخر مستويات التحليل اللغوي فهو المستوى الذي تخلص إليه المستويات الأخرى، لأن التواصل هو أسمى غايات البحث اللغوي المعاصر، وضمن هذا المستوى يندرج المستوى المعجمي الذي أجمع كثير من اللسانين على جعله عنصرا من عناصر الدلالة كونه يدرس المعنى المقالي الذي يتأسس وفق معنين هما:

-**المعنى المعجمي:** الذي يمثل العلاقات العرفية الاعتباطية بين المفردات و معانيها

- **المعنى الوظيفي:** الذي يمثل كل من وظائف الصوتيات و الصرف والنحو.[1]

إن دلالة المفردات تتغير أثناء استعمالها في الخطاب فهي قد تفقد معناها المعجمي و تخرج عنه لتدل على معنى غير ذلك و هذا ما سنبرزه من خلال نص هذا المثل الشعبي القبائلي:

"**ذي ديق ايتفان ورڤاز وين اصبرن ايلاز**"

[1] غنية تومي، السياق الغوي في الدرس اللساني الحديث، ص6-7

إن المعنى المعجمي لكلمة "ايلاز" هو الجوع باللغة العربية إلى أنها دلت على معنى الشدة و الأوقات الصعبة في جملة هذا المثل، لذلك علينا أن نراعي هذا التغير في دلالة الألفاظ في عملية الخطاب و النتائج التي توصلنا إليها في التحليل اللغوي لنصوص هذه الأمثال الشعبية القبائلية حقائق و معاني جزئية لاتصل إلى حد الدلالة الكاملة و المعنى العام.

فالسياق يقوم على شقين من المعنى معنى مقالي أو لغوي و مقامي أو حالي، ومن اجل هذا تحديد دلالة الخطاب اقر فيرث بوجوب إتباع المراحل الآتية:

1 تحليل النصوص إلى مستوياته اللغوية(صوتي، صرفي، تركيبي، دلالي)

2 تحديد سياق الحال أو المجريات أثناء الكلام الفعلي.[1]

لذلك سنحاول الإحاطة بسياق الموقف في نصوص هذه الأمثال الشعبية القبائلية بغية الوصول إلى المعنى الكامن وراءها.

2.3السياق المقامي للمثل الشعبي القبائلي (Context de situation):

إن سياق الموقف أو الحال عند فيرث هو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، ويشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما كان أم كتابة، غير أنّ بلومفيلد السلوكي حدد سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها في إطار من الأحداث العملية وهو مادي عنده، ولهذا قد يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام.

يتكون سياق الموقف من ثلاثة عناصر، وهي:

1 شخصية المتكلم والسامع ومن شاهد الكلام ودوره في المراقبة أو المشاركة.

2 العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

[1] غنية تومي، السياق الغوي في الدرس اللساني الحديث، ص7

3 أثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء.[1]

سنحاول في هذا الجزء من البحث الإلمام بشتى المواقف أو الملابسات التي يمكن أن تحيط ببيئة الحدث أو الفعل الكلامي لنصوص الأمثال الشعبية القبائلية لإبراز دور الموقف الذي يجري فيه التخاطب في تحديد معنى و هدف ذلك الخطاب.

وتقديم أمثلة عن دور سياق الحال أو(الموقف) في تحديد المعنى، سنقوم بإعطاء مثل شعبي قبائلي عنده مواقف أو حالات مختلفة بغية الكشف عن التغيير في المعنى والدلالة:

"لْقلَّه يرْڤازنْ إِڤرَّانْ محند ذَارڤازْ."

ومن اجل توضيح نص هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: "قلة الرجال هو ما جعل من محند رجلا".

يضرب هذا المثل في الغالب على الشخص الذي تنافي أعماله وأقواله وسلوكاته الرجولة والمروءة وليدل على قبح أعماله وسوء تصرفاته كما يضرب للدلالة عن رجل لا مكان له بين الرجال فلا رأي له في المجتمع.

لكن معانيه ودلالاته تتخذ عدّة أوجه حين تكون المواقف وحالات الخطاب مختلفة فمثلا:

إذا كان المتلقي معنيا بهذا الخطاب أي أنّ المتكلم قصده بقوله: لْقلَّه يرْقَازنْ إِقرَّانْ محند ذَارقازْ، فإنّه يحمل معنى التحقير وإذا كان هناك شاهد في الخطاب فإنّه قد يحمل أيضا الفضح.

وإذا كان المثل قد قيل فقط من باب التفسير والاستدلال على سلوك ولم يكن المتلقي مقصودا به فإنّه يحمل معنى الاستهزاء والسخرية فيصاحب هذا الخطاب جوّ من السرور والضحك، وقد يدل على العبرة إذا كان خطابا جادًّا أو حادًّا.

[1] ينظر فطومة لحمادي ، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الثاني والثالث جانفي جوان 2008م، ص 08

فمواقف الكلام أو حالاته تحدد دلالة الخطاب ومعناه ومحيط وبيئة المتلقي والمتكلم تساهمان في تغيير المعنى والدلالة وتوجيه السياق إلى مقاصد الكلام.

وسنبيّن في مثال آخر اختلاف وتغير الدلالة بتغير مواقف وحالات الخطاب (الكلام).

"أَغْبُّوظْ أَرْغِيبْ وِينْ إِتْتبعنْ أُويْسعُويرَا أَحْبِيبْ"[1].

ومن أجل تقريب معنى ذلك المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: البطن لا يشبع فمن تبعه لن يكون له صديق، ويضرب هذا المثل عادة على الإنسان الذي لا قناعة له في الحياة وحاجيتها من أكل وشرب ومال، فتراه يجري ويجري وراء أشياء دنيوية وهذه الدلالة تكون في حال أو موقف عادي يجري فيه الحديث أو الكلام بين شخصين أو أكثر أما كمثال على أحد أو بغية النصح والإرشاد. وقد يكون المعنى في حال أخرى غير ذلك فيأتي كلاما معاتبا يفيد التأنيب إذا كان المتكلم غاضبا والمتلقي هو المعني بالكلام إما من والد لابنه أو مرشد لضال إلى غير ذلك من الحالات أو المواقف.

3.3اسياق الثقافي للمثل الشعبي القبائلي:

يمكن إدراج السياق الثقافي ضمن السياق المقامي باعتباره أحد العناصر غير اللغوية التي تحيط بالفعل الكلامي، و يعتبر النص ظاهرة ثقافية، إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهمّ البنية الاجتماعية لمجموعات ثقافية كما يمكن أن نستخلص المحادثات المستعملة في مقامات خاصة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم..الخ.[2]

وخير النصوص التي تجسد ثقافة مجتمع وتميزه عن غيره هو نص المثل الشعبي، فهو يمثل التعبير الذي ينبثق من قلب الثقافة العريقة لشعب معين، لذلك نلمح في بعض نصوص تلك الأمثال الشعبية القبائلية ذلك التميز الخاص لثقافتهم العريقة والخاصة، إذ هناك أمثال تكون

[1] Sakina_ Ait Ahmed Slimani, proverbes berbères de Kabylie, p 139.

[2] ينظر فطومة لحمادي ، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، ص12

مستحبة بين أواسط تلك منطقة معينة لكنها لا تكون على ذلك في أخرى و ذلك لاختلاف بعض العادات و التقاليد بين تلك المناطق حتى إن كانت تتقاسم نفس المنظومة اللغوية.
و كمثال على ذلك نذكر نص المثل الشعبي القائل:

"**أذفل يكاث ذ ڤـوذرار سَميس ڤ سواحل** " .

ولتقريب معنى نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الثلج يسقط فوق قمم الجبال و البرد يكون في السواحل.

ومن المناطق من قد تستحب هذا المثل بين أواسطها ويتداوله أبناء مجتمعها إلا أنّها لن يكون نفس الشيء في مناطق أخرى وثقافات أخرى بل يكون غير معروف و غير متداول بينهم ولو عدنا إلى طبيعة و تضاريس منطقة القبائل لوجدناها منطقة جبلية فشتاءها يكون باردا لكن في المناطق الساحلية التي لا تكون بعيدة عن الجبال و الثلوج وهذا المثل يكون على لسان ساكني المناطق الساحلية كونهم المتأثرون بالبرد و الشتاء.
و لكن المغزى من نص هذا المثل هو أن الإنسان سيتحمل نتائج أعماله ولو بعد مكانه أو زمانه.

إنّ التنوع الثقافي الذي تزخر به منطقة القبائل يجعل أمثالها تختلف دلالتها ومعانيها باختلاف المناطق التي تتداول فيه، وقد يدل مثل شعبي قبائلي في منطقة من مناطق بجاية على غير ما يدل عليه في منطقة تيزي وزو أو البويرة إلى غير ذلك من مناطق القبائل، وذلك أيضا لاختلاف العادات والتقاليد والأعراف التي تخص كل مجتمع عن آخر.
إنّ جملة المثل قيمة ثقافية تحدد سلوك وأفكار المجتمع الذي تتداول فيه لذلك يكون الاختلاف واضحا بين أرجاء هذه الأرض المتعددة الثقافات والعادات والتقاليد، ولقد لاحظنا أيضا أنّ الكلمات التي تستخدم في أمثال شعبية قبائلية تختلف من منطقة إلى أخرى رغم أنّ دلالة ومعنى المثل واحد ويضرب في نفس الموقف، وهذا أيضا دليل على الثقافة المختلفة فنص هذا المثل يبيّن ذلك:

"**سكْسُو يزْوَارْ ثْزَاليثْ**".

ومن أجل شرح معنى المثل سنترجمه إلى اللغة العربية:

"الكسكس يسبق الصلاة"

"**طعامْ يزْوَارْ ثْزَليثْ**"[1].

"الطعام يسبق الصلاة".

وهذا المثل مرتبط بقصة شخص كان لا يأكل حتى يقيم الصلاة و في يوم من الأيام بعد ما أنهى صلاته، وافته المنية و بعد ذلك اتبع أحد أقاربه عكس مت كان يفعله الشخص الأول فكان لا يصلي حتى يأكل خوفا من أن يموت و هو خاوي البطن لأن في عادات منطقة القبائل ومعتقداتهم أن من يموت و هو ممتلئ البطن خير من موته جائعا، لذلك يضرب المثل على الإنسان الذي يكون طعامه أغلى ما لديه.

فاستخدام المثل الأول يكون متداولا في مناطق تيزي وزو والمناطق المجاورة لها، وأما الثاني فيكون متداولا في مناطقنا في بجاية، وهذا يبيّن الاختلاف في المحيط الثقافي، فنجد كلمة الكسكس في بعض المناطق لتدل على قيمة هذا الطبق في تلك المناطق فلقد تم تخصيص نوع الأكل بينما نجد كلمة الطعام في المناطق الأخرى لتكون دلالة الأكل معممة.

للمثل الشعبي القبائلي سياقات متعددة وكثيرة فتحديدها يستوجب علينا البحث في مستوياتها اللغوية مع المواقف والحالات التي قد تضرب فيها أو ترد فيها مع إدماجها في المحيط الثقافي، لذلك نلاحظ أنّها تختلف باختلاف المناطق والطبقات الاجتماعية.

[1] Tahar Hamadache, Nnan Imzwura, Proverbes berbères de Kabylie, p 20.

ولهذا الغرض تطرقنا إلى البحث في أنواع السياقات التي تحملها نصوص هذه الأمثال الشعبية من مستوياتها اللغوية المقامية و الحالية وصولا إلى التنوع الثقافي الذي هو بحاجة ماسة إلى جمعه و حفظه لأنه يمثل الثقافة العريقة و القديمة و الأصلية لشعب الجزائري.

ومما يجعل من المثل الشعبي القبائلي النموذج المفضل لتواصل و التخاطب هو تقبله من أفراد المجتمع، إذ يعتبرونه من بين إحدى الوسائل الرئيسية في الحجاج على القضايا و المواقف التي يعيشونها وسنبين مدى كفاءة نصوص الأمثال الشعبية القبائلية في الحجاج والإقناع في الفصل الثاني من البحث الذي سيكون حول آليات الحجاج في تلك الأمثال.

4 السياق عند مايكل هاليداي:

مايكل هاليداي، احد ابرز تلامذة اللغوي الانجليزي جون فيرث رائد النظرية السياقية، وأكثرهم تقفيا لخطاه و أشدهم تمسكا بأفكاره و كانت أفكاره امتدادا لرؤى فيرث اللغوية.

يرى هاليداي أن النص هو الوحدة الأساسية في التحليل للوصول إلى المعنى وتحديد السياق إدراكه وهذا لأن المعنى الوظيفي لا يتحقق إلا من خلال النصوص، وعليه فان كل وصف للغة دون اعتبار النص هو عمل عقيم كما أن وصف النص دون ربطه باللغة هو عمل بلا معنى، ومن هنا يظهر أن الوصول إلى المعنى و إدراك السياق يكون في وصف اللغة أثناء الاستعمال وهذا ما ألح عليه هاليداي حيث جعل من الوظيفة المعنى بحد ذاته. [1]

[1] ينظر غنية تومي، السياق الغوي في الدرس اللساني الحديث، ص10

إن ما يهمنا نحن في دراستنا هذه هو النموذج الذي اقترحه هاليداي من اجل دراسة سياق الموقف أو الحال فهو نموذج يساعد الدارس على تحديد الموقف الذي يجرى فيه الخطاب

و هذه العناصر هي: المجال، نوع الخطاب، العلاقة بين المتخاطبين.[1]

1.4المجال (filed):

وهو الحدث الكلي أو الفعلي الذي يشتغل النص أو هو موضوع الخطاب. [2]

وإذا عدنا إلى مواضيع النصوص التي نحن بصدد دراستها ألا وهي الأمثال الشعبية القبائلية لوجدناها تشغل الحياة اليومية للفرد، من مواضيع اجتماعية وثقافية و حتى سياسية.

ينقل المثل الشعبي القبائلي في مضمونه انشغالات المجتمع و كأمثلة عن المواضيع التي تعالجها تلك الأمثال نذكر:

1 العمل: **وين ابغان امان اديفغ غ تالة.**

وهذا المثل سبق ذكره وشرحه.

2 العلاقات العائلية: **اخمن مدن وعرن ما اركنغين اكسضعفن** [3].

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: دار الغرباء صعبة إذا لم تقتلك جعلتك نحيلا

وهذا المثل يضرب للدلالة على إن البنت التي تزف إلى بيت غريب غير أهلها ستكون ضعيفة أمام أهلها الجدد فتتعرض إلى الاحتقار و التهميش.

[1] ينظر شريفة بلحوت، طبيعة النص وعلاقته بالمقام –من منظور هاليداي ورقية حسن–، ص 127

[2] المرجع نفسه، ص 127

[3] Sakina_ Ait Ahmed Slimani, proverbes berbères de Kabylie, p55.

2.4نوع الخطاب (MODE):

هو نوع الخطاب من شكله المكتوب أو المنطوق إلى نوعه البلاغي كان يكون قصصي أو تعليمي أو إقناعي.[1]

وهنا يتعين علينا التعرض إلى خصائص الخطاب البلاغية و الاقناعية وهذا أردنا أن نذكر خصائص النص الذي نحن بصدد دراسته و هو المثل الشعبي القبائلي لوجدناه النموذج اللغوي الأمثل لتواصل بين أفراد المجتمع لما له من خصائص فنية و بلاغية سبق وان ذكرناها في مدخل هذا البحث.

إن طبيعة نص المثل قصصية وكثيرا ما يكون تداولها شفاهة بين الناس والمميزات و الخصائص التي تمتع بها نص المثل من جزالة اللفظ و جودة الكناية وحسن التشبيه تجعله من النصوص التي تسمح للمتلقي معرفة الأوضاع التي يجرى فيها الكلام كما تساعد في فهم المواقف و الحالات التي تحيط بالعملية الخطابية لأنها تعبر عن ما بكون في الواقع الذي يعيشه كل من المتكلم و المتلقي.

3.4العلاقة بين المتخاطبين (TENOR):

ويمثل هذا العنصر نوع وطبيعة العلاقة بين المتخاطبين.[2]

تحدد العلاقة التي تجمع بين المشتركين في الخطاب الموقف أو الحال الذي يجرى فيه الكلام لذلك يتعين علينا معرفة نوع العلاقة للوصول إلى فهم المعنى و تحديد السياق.

[1] شريفة بلحوت، طبيعة النص وعلاقته بالمقام –من منظور هاليداي ورقية حسن، ص .127

[2] المرجع نفسه، ص 127.

وهذا ما سنوضحه في نص هذا المثل الشعبي القبائلي:

امولان صبرن امصبرن كفرن[1]

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: أصحاب المنية صبروا الذين يعزونهم كفروا

ويضرب هذا المثل للدلالة على الإنسان الذي يترك نفسه وحاله وينشغل بأمور الآخرين وهو لا دخل له لا من بعيد ولا من قريب حتى هم وبشؤونهم.

إن طبيعة العلاقة بين المتكلم و المتلقي في نص هذا المثل تغير من الدلالة والمعنى، فان كان المتكلم على علاقة عائلية أو أخوية بين المتكلم و المتلقي فإن المعنى يكون نهيا أو نصحا، وأما إن كانت علاقة غير ذلك فالمعنى سيكون اما استهزاءا أو سخرية واحتقارا.

إنّ هذه الأمثلة ليست إلا حالات قليلة يمكن أن يأتي الخطاب على إثرها أو مواقف تكون مصاحبة للحدث الكلامي، لكن الشيء الذي لا مناص منه أنّ تلك الحالات والمواقف تساهم بشكل كبير في تحديد الدلالة والمعنى.

إنّ الوصول إلى المعنى وتحديده يستوجب علينا الاستعانة بالسياق اللغوي و المقامي إذ أنّ المعنى لا يتحدد أثناء الخطاب إلا بمراعاة العلاقة بين تلك الكلمات والجمل وبين مختلف أحداث الكلام من حالات ومواقف.وقد توصلنا إلى رأي مفاده أنّ المواقف والحالات متعددة وكثيرة والإلمام بها جميعا أمر يقتضي الكثير من البحث، ولمعرفة تلك المواقف والحالات حددنا إجراءات يمكن التوقف عندها:

1 الحالة التي يكون عليها المتكلم والمتلقي (حالة نفسية واجتماعية).

2 الجوّ الذي يحيط بالعملية التخاطبية من محيط ثقافي أو علمي أو غير ذلك.

2 Sakina_ Ait Ahmed Slimani, proverbes berbères de Kabylie, 44

3 مراعاة كل من المتلقي والمشاهد للخطاب في درجة استيعابهم للكلام أو الخطاب (مستواه المعرفي والعلمي والثقافي).

يعتبر المقام أو الموقف الذي يجرى فيه الكلام من أساسيات التحليل من اجل تحديد المعنى و السياق إذ أنه يفسر الحالة النفسية و الاجتماعية التي يكون عليها المتخاطبان كما أنه يسمح لنا بفهم أغراض الخطاب و مقاصده.

إضافة إلى كل من السياق اللغوي والسياق الحالي أو المقامي، هناك من اقترح سياق آخر قد يكون له التأثير الكبير في تحديد المعنى وهذا السياق هو ما يعرف بالسياق الثقافي.

الفصل الثالث:

-آليات الحجاج في المثل الشعبي القبائلي:

-الحجاج:

- المسار التاريخي للحجاج:

- من منظور بلاغي:

-من منظور تداولي:

تمهيد:

لقد خصصنا هذا الفصل لنتحدث عن نظرية تعد من بين أهم النظريات قديما وحديثا إذ حظيت باهتمام الغربيين وكذا العرب وهي نظرية "الحجاج"، وقد ارتأينا أن نقسم هذا الفصل إلى قسمين فالقسم الأول تعرضنا فيه إلى تقديم تعريف للمصطلح "الحجاج"، من الناحية اللغوية وكذا الاصطلاحية والتي عمدنا أن نوضحها أكثر من القسم الثاني الذي عنوناه "بالمسار التاريخي" إذ تطرقنا فيه إلى أراء القدامى وكذا المحدثين الغربيين منهم وكذا العرب على حد سواء وذلك من باب تسهيل مهمة المطلع على بحثنا هذا.

1الحجاج :

لغة: في لغتنا العربية، نجد الحجاج والمحاجة مصدرا الفعل "حجاج" وفي "لسان العرب" لابن منظور جاء ما يلي:

حاججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

الحجة هي البرهان أو ما دافع به الخصم، وتجمع الحجة على حجج وحجاج ويقال حاجه محاجة وحجاجا، أي نازعه الحجة، والحجاج هو التخاصم والرجل المحجاج هو الرجل الجدل، والاحتجاج من إحتج بالشيء أي اتخذه حجة، ويقال: أنا حاججته فأنا محاجة وحجيجه أي مغالبة بإظهار الحجة التي تعني "الدليل والبرهان"[1] ومن خلال هذا القول نستخلص بأن تعريفاته قد تباينت وتعددت وذلك باختلاف السياقات التي ورد فيها فجاء بمعنى "التخاصم" و"التنازع" و"الجدل" و"الغلبة" وكذا البرهان و"الدليل".

[1] . ابن منظور، لسان العرب، ص 228.

ولقد ورد في معجم "الوسيط" فعل حَاجّ بمعنى جادل، حَاجّه، مُحاجّه وحجاجًا أي جادله، وفي التنزيل العزيز: ***"ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه"*** البقرة 257[1]، جعل من فعل حاجَّ مرادفا لجدل.

إذا أخذنا معنى "الحجاج" باللغة الفرنسية فنجده يشير إلى عدة معان متقاربة أبرزها على وجه الخصوص حسب قاموس روبير ما يلي:

ـ القيام باستعمال الحجج.

ـ مجموعة من الحجج، التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

ـ فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة ما.

وفي القاموس ذاته نجد (Argumenter) تشير إلى الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصاحبة بحجج [2]، اشترط وجود طرفي الخطاب كل واحد يسعى إلى إثبات رأي بواسطة الأدلة، أما في الإنجليزية فتشير لفظ (Argue) إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل منهما إقناع الأخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب والعلل التي تكون الحجة مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما.[3]

لا يختلف المعنى اللغوي للحجاج في الفرنسية والإنجليزية عن المعنى اللغوي في العربية، فالكل جعله جدلا يقوم بين المتكلم والمتلقي فكل واحد منهما يسعى إلى عرض أفكار بواسطة الأدلة التي تحقق العملية الحجاجية.

[1] . إبراهيم مصطفى، معجم الوسيط (معجم اللغة)، مكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ج1، د.ت، ص 157.

[2] . الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، عالم الكتب الحديث، أردن، ط1، ج3، 2010، ص 32.

[3] . هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي "دراسة في وسائل الإقناع"، الأربعون النووية أنموذجا،ص 49.

أما فيما يخص مفهوم الحجاج الاصطلاحي فسوف نتعرض إلى تقديم بعض الآراء التي خصت هذا المصطلح بتعريفات إلا أننا سنتطرق لاحقا في القسم الذي عنوناه "بالمسار التاريخي" إلى جل هذه التعريفات.

يعرف بلاتين الحجاج بقوله: "الحجاج عملية تعتمد على ملفوظ مضمون (مقبول) "الحجة" بغية الوصول إلى ملفوظ أقل ضمانا (أقل قبولا) "النتيجة" وفي تعريف آخر له: "مجموعة من التقنيات الشعورية واللاشعورية المبررة للمعتقدات والسلوكات، تهدف إلى إثارة تحويل أو تدعيم المعتقدات (الشعورية أو اللاشعورية لهدفها أو هدفها"[1]، إن الحجاج عند بلاتين هو التأثير في المتلقي بواسطة التقنيات الشعورية واللاشعورية (اللغوية أو غير اللغوية) لتدعيم المعتقدات أو السلوكات.

يعتبر الحجاج مجالا من مجالات التداولية، إذ يرتبط مفهومه بالأفعال اللغوية وفي بهذا يكون سياقا من الفعل اللغوي، تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلفة في شأنها هذه الفرضيات المقدمة في الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي"[2].

الحجاج قائم وفق متواليات (سلسلة) من الإدعاءات والفرضيات، وإن سلمنا بهذا القول (فرضيات) يؤدي بنا إلى استنتاج أن مجال الحجاج هو الاحتمال وليس اليقين كما في العلوم الطبيعية، وبما أن خطاب التداولية يقوم بين طرفي الخطاب (متكلم، متلقي)، أي الحوارية، وكذا الحجاج يقوم على نفس المبادئ (متكلم، متلقي) ومن خلال هذا يتضح لنا بأن هنالك علاقة تجمع بين الحجاج والتداولية.

وقد ذكرنا فيما سبق بأننا سوف نتطرق إلى أراء الغربيين وكذا العرب ولهذا سنتذكر رأي جلال الدين السيوطي الذي ربط الحجاج بالجدل، إذ عقد لهذا التخصص فصلا في كتابه

[1] . أمين بوشبوط، الروابط الحجاجية في اللغة العربية مدخل إلى النظام الروابط الحجاجية السببية والإستنتاجية (الخطاب السياسي لرئيس الجمهورية أنموذجا)، شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، ص 131.

[2] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص 36.

"الإتقان" في علوم القرآن "وسمي بجدل القرآن حيث أكثر داخله في استعمال ألفاظ (المحاجة) و(الاحتجاج) على أنه مردفة للجدل وتسد مسده[1].حيث جعل من الحجاج مرادفا للجدل.

وكما أسلفنا الذكر من خلال تمهيدنا لهذا الفصل بأننا سنعمد إلى تبني منهجية متمثلة في تقسيم الجزء الذي خصصناه لتقديم تعريف "للحجاج" إلى قسم تمهيدي تطرقنا فيه لتقديم التعريف اللغوي وكذا الاصطلاحي إلا أننا لم نتعرض إلى مختلف هذه التعريفات الاصطلاحية وذلك لأننا ارتأينا أن نذكرها في القسم الثاني الذي وسمناه "بالمسار التاريخي" إذ تعرضا فيه إلى مختلف تطورات هذا المصطلح لدى الغرب والعرب القدامى وكذا المحدثين ابتداء من أراء أرسطو وصولا إلى أراء ديكرو وغيره وكذا أهم ما ورد عند العرب وذلك من باب تسهيل مهمة المطلع على بحثنا هذا.

2 المسار التاريخي للحجاج:

لقد اندرج الحجاج قديما في الخطابة والبلاغة، وكثيرا ما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بتسميات مختلفة جاء بمعنى الجدل، التناظر وما إلى ذلك، وانطلاقا من مؤلفات اليونان إلى أهم ما ورد عند العرب، ومن العسير علينا التطلع تلقائيا إلى تحديد سريع ودقيق كل الدقة بمعنى الحجة أو المحاجة[2] ، وعلى ذلك سنتعرض إلى تطوره التاريخي عند الغرب والعرب.

[1] . هشام فروم،تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا، ص 81.

[2] . المرجع نفسه، ص45.

1.2 المسار التاريخي عند الغرب قديما:

حين نستقرئ الجهود السابقة نجد أن الفلاسفة اليونانين أمثال سقراط وتلميذه أفلاطون، ومن بعدهما أرسطو والسوفسطائيين قد انتبهوا إلى هذه العملية (الحجاج) فقدموا أفكارهم وأصبحت منطلقات في عملية الحجاج وهذا ما أدى بنا إلى عرض أفكار هؤلاء الفلاسفة.

1.1.2الحجاج عند السوفسطائيين:

لقد غير السوفسطائيين مفهوم الفلسفة من اهتمامهم بالطبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان وقد عبروا عن هذا التغيير باهتمامهم الكبير باللغة والبلاغة والخطابة ويعتبرون أول الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة وقد عبر عليها "جورجياس" بقوله: "الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[1]، كما أصبح الكلام عندهم فتانا ومخادعا بعد أن كان موجدا للحقيقة ومقدما للمعرفة وأصبح أيضا أداة ووسيلة إقناع واقتناع، تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل[2]، الكلام عندهم تلاعب وخداع وهو أداة لا تهتم بالحق أو الباطل.

كما استندت ممارستهم للحجاج أيضا إلى تصورهم للنافع فهم لم يعلقوه بالخير بل علقوه باللذة، فحسب أفلاطون لذة الاستهواء بالنسبة للمقول إليه ولذة النفع بالنسبة للقائل وفي هذا الصدد يتنزل مذهب "كور اكس" وهو استغلال المحتمل وتوجيه الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المحاج"[3]، وقد أضحت هذه الممارسة منهجا متبعا في الحجاج. بمعنى أنهم جعلوا من الحجاج أداة للانتفاع ولتحقيق اللذة.

1-حسين بوبلوطة،الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي،ص9.

2-المرجع نفسه، ص9

[3] . هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، 1998، ص 60

كما كانوا يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع ويعلمون الشباب الخطابة ويهيئونهم بذلك لتولي السلطة وكانوا يتقاضون مالا وفيرا على ذلك، فالسوفسطائي كان يشتغل بالتعليم وكما قال "بروثا غوراس": "أوافق على أني سوفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس".[1]

المتحكم في الحجاج في رأي السوفسطائين يمكنه احتلال مكانة في المجتمع.

فكانت غايتهم تعليم طلبتهم البلاغة والإلقاء والقدرة على الجدل حتى يستطيعوا أن يوجهوا كل مسألة تعرض إما بفكرة صحيحة أو التلاعب بالألفاظ لإفحام السائل، لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة، فهو يعلمون الشباب كيف يخدمون الفكرة.

وعلى أي وجه كان سواء بالحق أو الباطل، حتى روى عن أحدهم أنه قال: "إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل"، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كاللعب بالألفاظ، الاستعارات والكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ومن أجل ذلك سمي باللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج (سفسطة)[2].

يتضح من خلال هذا بأن الحجاج عند السوفسطائين يقوم على التلاعب بالألفاظ والهروب بالحقيقة.

2.1.2 الحجاج عند أفلاطون:

يمكن أن نكتشف أفكار أفلاطون في العملية الحجاجية من خلال تتبع المحاورات التي أجراها مع بعض السوفسطائيين.

[1] . هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، 1998، ص1 6

[2] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 10.

بحث أفلاطون في المحاورة التي أقامها مع "قرجياس" في موضوع الخطابة، ووظيفتها، بحث في شرعية قيام هذا القول، فقد فحص موضوع الخطابة في مقابلته علم/ظن وذكر أن الإقناع نوعان إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن والإقناع الثاني في رأيه هو موضوع الخطابة السوفسطائية فالعلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيد يكتسب الإنسان منه معرفة، في حين نجد أن الظن يقوم على الممكن والمحتمل فهو لا يكسب معرفة بل ينشئ اعتقادا[1]، أقر في هذا القول بموضوع الخطابة لدى السوفسطائين المتمثل في الظن.

وفي مقطع آخر من هذه المحاورة قيم وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير/ لذة وذكر أن هناك صنائع للتحقيق الخير للإنسان وهي جسمه ونفسه وذكر أن هناك ممارسات تخاذل الإنسان، وتخدعه، فهذه الممارسات جعلها تحت اسم جامع هو "التملق" فهذه الكلمة تفيد اللذة والخداع وفي رأيه أن الخطابة السوفسطائية "قول يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد تحقيق اللذة لا الخير"[2] أكد بأن الخطابة عند السوفسطائين تقوم على تمويه الحقيقة وتحقيق اللذة.

تبين مما سبق أن أفلاطون اعتمد في تقسيم القول على منهج بحث في صلة القول بالقيم ففي المقطع الأول وزن القول الخطبي (قول الحجاجي) بمعيار العلم ووزنه في المعيار الثاني بمعيار الخير[3]. وفي محاورة مع "ليزياس" هذا الأخير الذي يمجد اللذة على الخير فرأى أفلاطون أن موضوع الخطابة هو العلم والخير[4]، أفلاطون على عكس السوفسطائين الذين جعلوا الخطابة تحقيق للذة لا الخير.

---

[1] . هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 63.

[2]. المرجع نفسه، ص 64.

[3] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 11.

[4] . هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 71.

ومن خلال ما أورده أفلاطون عن طريق المحاورات التي أقامها مع السوفسطائين نفهم أن نظرته للعملية الحجاجية تقوم على معيارين هما العلم والخير.

3.1.2 الحجاج عند أرسطو:

تناول أرسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع ومن الزواية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة[1] و جعل من الحجاج مرادفا للجدل.

وقد ميز ثلاثة مستويات من الحجاج:

ـ **الحجاج الأيتوسي:**تستند على صورة الخطيب وملامحه التي تبعث ثقة المتلقي،إنها ضرب من المقبولية العاطفية بمعنى أنه يهتم بالخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب. ـ **الحجاج الباتوسي:** فإنه يستند على الملامح النفسية النزوعية للمتلقي، إننا نستطيع أن نقنعه إذا كنا على علم بعواطفه ونوازعه وميوله، ويتضح من خلال هذا بأنه يتشكل مجموعة الانفعالات يرغب الخطيب إثارتها لدى المستمعين.[2]

ـ **الحجاج اللوغسي:** تستند على موضوع الخطاب باعتبار ملامحه المحايثة حيث تتولد النتائج عن المقدمات المحتملة، وحيث يتم الاستناد على الوقائع وترتيب وحدات الخطابة ومقومات الأسلوب. ومن الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، يرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال، وقسم أرسطو القول الحجاجي إلى ثلاثة مراحل ورتبها بحسب تواليها في الزمن وهي على النحو التالي:

[1] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 12.

[2] . محمد الوالي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، عالم الكتب الحديث، أردن، ج2، ط1، 2010، ص 60.

ـ **المرحلة الأولى:** سماها(Euresis) وتعرف في اللاتينية (Invention) وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج وترجمها بدوي (مصادر الأدلة).

ـ **المرحلة الثانية:** سماها (Taxis) وتعرف في اللاتينية (Disposition) وقد استعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة (ترتيب) أما بدوي فاستعمل في ترجمته عبارة (ترتيب أجزاء القول).

ـ **المرحلة الثالثة:** سماها أرسطو (Lexis) وتعرف في اللاتينية (Elocution) وقد استعمل ابن رشيد كلمة (فصاحة) واستعمل ابن سينا عبارة (تحسينات) واختيار الألفاظ للتعبير، أما "بدوي" فاستعمل كلمة (أسلوب).[1]

وقد أضاف إلى هذه المراحل الثلاثة مرحلة رابعة سماها(Hypocrisis) وتعرف في اللاتينية (Action) وكانت تستعمل في المسرح وتدل على تقمص الممثل للشخصية التي يؤدي دورها، أما ابن رشيق فاستعمل في مقابلها الأخذ بالوجوه[(2)].

تعد هذه المراحل المنطلقات الأساسية لتشكيل القول الحجاجي. ومن أبرزها الإيماءات المصاحبة لهذا القول وكذا الخصائص الأسلوبية المتمثلة في اختيار الألفاظ.

2.2 المسار التاريخي عند العرب قديما:

لقد أولى العرب قديما الحجاج عناية كبيرة، خاصة في العصر الإسلامي لاسيما في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان يضرب في المسامرات واللقاءات.

1.2.2الحجاج في القرآن الكريم:

لقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان ونلمسه في آيات كثيرة، ويأخذ قوله تعالى: ***"ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه"***، سورة

[1] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 12.

[2] . هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 173، 174.

البقرة (257)[1]. لقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور، بقوله معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة والمفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وأن الأغلب أن يفيد الخصام بالباطل[2].

ويردف ابن عاشور قائلا في شأن الجدل عند تفسيره قوله تعالي: "ولا تجادل عن الذين يحتاجون أنفسهم" النساء (107) وفسرها ابن عاشور بقوله: "والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لا قناع الغير برأيك"[3].

فالحجة هو الجدال القائم بين شخصين من أجل الإقناع في مناوشات كل واحد يريد فرض رأيه.

وما نستخلصه من خلال تفسيره (ابن عاشور) للآيات بأنه جعل فعل "حاج" في الآية الأولى بمعنى المخاصمة ولكن بالباطل في حين أنه في الآية الثانية جعل الحجاج مرادفا للجدل.

ونجد أيضا الحجاج في الحديث النبوي الشريف فقد تباين واختلف من حديث إلى آخر ومن أشهر ما يستدل على ذلك في هذا الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ناكرا لون ولده قائلا: يا رسول الله إن امرأتي، ولدت غلاما أسود، فقال له الرسول: هل لك من إبل؟ قال نعم، قال ما ألوانها؟ قال حمر، قال هل فيها أورق؟ قال نعم

[1] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 15.

[2] . محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 11.

[3] . محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص11

قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقا نزعه، فقال الرسول وهذا الغلام لعل عرقا نزعه[1] الحجاج يقوم على الاستدلال وكذا اتبع المتواليات التي تؤدي إلى اكتشاف هذه الحجج.

لقد تباينت معاني الحجاج في القرآن والحديث النبوي من الاستدلال والمجادلة والمخاصمة.

2.2.2الحجاج في البلاغة القديمة:

لقد أدرج أصحاب البلاغة القديمة الحجاج في مؤلفاتهم ومنهم الجاحظ، ونجده في كتابه" البيان والتبيين" قد تناول فصولا كثيرة ففيما تعلق بالحجاج ففي الفصل الذي تناول فيه البلاغة، حاول إيضاح هذا المفهوم بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية، إذ يقول: "أو البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللفظ، متغير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة"[2] لقد توصلنا إلى أن البلاغة عند القدامى هي الحجاج وذلك بعدما أصدره كل من بيرلمان وتيتيكاه وسماه بالبلاغة الجديدة، أي (الحجاج) ومن خلال قول الجاحظ نجده قد عدد أهم المميزات التي يجب أن تكون لدى الخطيب أثناء حديثه، وذلك باختيار الألفاظ أو مراعاة المقام.

أما أبو الوليد الباجي فقد أورد في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" أن الحجاج يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت من حجة، ولا اتضحت محجة ولا علم

[1] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 17.

[2] . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، د.ت، ص 92.

الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم[1] يتضح لنا من خلال هذا القول بأن الحجاج يقوم على الجدل الجيد.

وقد جعل أبو الوليد الباجي للجدل نوعين الجدل المحمود أو الذي يراد به الخير والذي يقوم على المعرفة لدى المناظر أو المحاجج أما النوع الثاني فتمثل في الجدل المذموم والذين يجادلون به لا علم لهم ولا معرفة"[2]. ربط بين الجدل والمعرفة فهذه الأخيرة (المعرفة) هي التي تحدد نوع الجدل.

ويمكن في الأخير أن نقول أن الحجاج في الفكر العربي يقوم على الجدل وكذا المخاصمة، وهذا ما استقيناه من خلال ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحمل فعل "حاج" أو في الحديث النبوي الشريف بالإضافة إلى مؤلفات أقطاب البلاغة القديمة الذين وظفوا هذا المصطلح.

3.2 المسار التاريخي للحجاج عند الغرب حديثا:

تعد آراء القدامى في الحجاج بمثابة المنطلقات الأساسية التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصرة.

1.3.2 الحجاج عند بيرلمان:

لقد طور بيرلمان في مؤلفاته النظرية الحجاجية، وبالتحديد في مؤلفه المشترك مع تيتكا (Traité de l'argumentation) مصنف في الحجاج الذي ظهر من قبل باسم

(La nouvelle rethorique) أو الخطابة الجديدة والذي ينزل الحجاج بين الخطيب وجمهوره أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب والجمهور.

[1] . أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد بن تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2003، ص 8.
[2] أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص 9.

يعرفان الحجاج بأنه: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1]. اشترطا في العملية الحجاجية وجوب خطاب أي وجود متكلم ومستمع وهذا ما يؤدي إلى المناقشة بحيث الإذعان بما طرح أو الزيادة فيه.

أما غاية الحجاج عندهما فلقد حدداها بقولهما "تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وادمجها في الأطروحة المقدمة وتفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنها من آثار"[2]، إنهما لم يهتما إلا بالأدوات الخطابية التي تفيد في كسب النفوس[3]، ومعنى هذا أنهما درسوا الوسائل الخطابية التي تساعد في إثارة ميول أي شخص وقد قسما الحجاج بحسب نوعه الجمهور إلى نوعين هما[4].

ـ **الحجاج والإقناعي:** وهو حجاج يرمي إلى إقناع جمهور خاص.

ـ **الحجاج الإقتناعي:** وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام وهو النوع الذي ركزا عليه لكونه عقليا. وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بأن هذا الحجاج غير موجه إلى جمهور خاص وإنما هو موجود لدى كل ذي عقل.

يتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية:(1) أن يتوجه إلى المستمع(2)، أن يعبر عنه بلغة طبيعية(3)، مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية(4)، لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة(5) ليست نتائجه ملزمة[5] عدد هذا القول أهم مميزات الحجاج

[1] . عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عالم الأدب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2010، ص 32.

[2] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 24.

[3] . شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، عالم الأدب الحديث، الأردن، ط1، ج5، 2010، ص67.

[4] . عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، 1998، ص 301.

[5] . . محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2010، ص 182.

عند بيرلمان والتي حصرها في خمسة ملامح أهمها: أنه يتوجه إلى المستمع وكذا كون نتائجه ليست حتمية وإنما يمكن أن تكون افتراضية.

إن مجال الحجاج في نظر بيرلمان يتعلق أساسا "بالبحث في المماثل والمعقول والمحتمل، وذلك في حال ما إذا كان هذا الأخير يفلت من كل الحسابات الحتمية"[1] و يمكن أن نستخلص من هذا القول أن مسلمات الحجاج احتمالية وليست إلزامية حتمية.

ولقد لخص الدكتور محمد طروس أهم النتائج التي وصل إليها بيرلمان وتيتيكا ويمكن أن نصيغها كما يلي:

ـ إن أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تخليصهم للحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة بخاصة عند أرسطو.

ـ تخليص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة وذلك بتقريبه من مجالات استخدام اللغة الفلسفية والقانون.

ـ اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل كما رأيناه مع أرسطو فهو حوار بين الخطيب وجمهوره. ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعب بالمشاعر والعقول.

ـ الحجاج تدريس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

ـ العملية الحجاجية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الإقناع[2].

[1] . عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 55 . 56.

[2] . حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص 25.

2.3.2 الحجاج عند ديكرو:

تعتبر النظرية الحجاجية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزوالد ديكرو، نظرية أساسية تهتم بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجهة ما (بهدف التأثير في المتلقي مثلا).

لقد تحدث عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع (Anscombre) "أنسكومبر" 1983م المعنون بـ (L'argumentation de la langue) "الحجاج في اللغة" ليقرا بأن الحجاج له جذور في اللغة أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج والعكس صحيح إذ يقولان في هذا الصدد: إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا ($ق_1$) (أو مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر $ق_2$ (أو مجموعة من الأقوال)[1] يتضح لنا من خلال هذا القول بأنه هناك علاقة تواصلية بين الحجة والقول بحيث لا يمكن الفصل في هذه العلاقة وذلك بكونها عبارة عن متواليات قولية حيث $ق_1$ يمثل الحجة التي تؤدي إلى $ق_2$ قولا صريحا أو ضمنيا، ومن الأمثلة التي يضربها الباحثان على هذا الرأي: إن في قولنا لنخرج إلى النزهة بما أن الطقس جميل، أو في قولنا: الطقس جميل فلنخرج للنزهة يكون $ق_1$ هو الطقس الجميل، و$ق_2$ فلنخرج للنزهة[2] ويضيفان على أنه بالإمكان أن يكون $ق_2$ هو النتيجة الضمنية لكن بشرط أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلا يسيرا، والمثل على ذلك هذا الحوار: هل ترغب في مرافقتي لنشاهد الشريط السينمائي؟

لقد شاهدته.

حيث يكون الجواب "ب" لقد شاهدته "دليل موصولا إلى الجواب بـ "لا".[3]

[1] . عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007، ص 33.

[2] . المرجع نفسه، ص 34.

[3] . المرجع نفسه، ص34.

ومن هنا يكون الخطاب المبني على تتابع ق1، ق2 تتابعا ضمنيا أو صريحا بمعنى أنه يمكن أن يكون الجواب صريحا بقولك "لن أذهب معك"، أو أن يرد ضمنيا وذلك من باب اللباقة مثلا فيكون جوابك "لقد شاهدته"، أولدي عمل مهم...الخ.

تطمح هذه النظرية أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية (Intrinsèque) وظيفة حجاجية وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[1]، هذا يعني أن اللغة تحوي وظيفة حجاجية ويختلف "ديكرو" عن "بيرلمان" الذي يرى أن كل قول لا يحتوي على فعل إقناعي لا يكون حجاجا بل "أدبا في المعنى العام، يعمه الحجاج على كل قول [2]، أي أن القول حتى ولو لم يحوي فعلا إقناعيا فإنه يعد حجاجا.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستين" و"سورل" وقد قام "ديكرو" بتطوير أفكار "أوستين" بالخصوص فاقترح في هذا الإطار،إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء، أو عمل مقتضي (Act présupposé)

هو ما ينقله القول إلى المخاطب بصفة ضمنية، أي أنه يعيد معلومات قيمة، مثلا "كدت تصل متأخرا" نجد الاقتضاء مفاده أن المخاطب "لم يصل متأخرا"، وهذا يعرفه المخاطب ولا خلاف فيه، أي النطق بغير المنطوق، وفعل الحجاج كفعل يقوم به المتكلم، فتنعكس أثاره واضحة في الملفوظ الذي ينتجه هذا النشاط، ومن هنا جاءت عبارة ديكرو الشهيرة "إن القول منطبع من المقول" (Le dire est inscrit dans le dit) وتبعا لذلك، فإن الملفوظ يلمح إلى التلفظ، وبمعنى أن الملفوظات التي تنتجها في نشاطنا اللغوي تتكيف مع طبيعة الفعل اللغوي الذي تتولد عنه هذه الملفوظات ويظهر ذلك واضحا في البنية الداخلية لهذه الملفوظات ذاتها[3]، والمراد من هذا أن القول لا يظهر إلا من خلال المقول.

---

[1] . أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2010، ص 56.

[2] . عبد الرزاق نبور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج2، 2010، ص 311.

[3] . رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند "أنسكومبر وديكرو"، مجلة عالم الفكر، ع34، سبتمبر، 2005، ص 243.

وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند "أوستين"و"سورل"، قد واجهتها صعوبات عديدة (كعدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلا) فقد قام "ديكرو" بإعادة تعريف مفهوم التكلم أو الإنجاز (l'Illocutoire) مع التشبث دائما بفكرة الطابع الحرفي (Conventional) للغة وقد عرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات وبالتالي ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج لأنه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الالتزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره.[1]

يتضح لنا من خلال هذا القول بأن الحجاج يتمثل في متواليات أو تسلسلات من الأقوال. وعندما قال بأن مفهوم التكلم يسعى إلى إحداث تحولات ذات طبيعة قانونية فإنه يريد أن يبين بأن لكل ذي حق واجب فالمطالب بحقه لابد أن يكون في انتظاره واجبا مقابل ذلك.

عموما إن الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

ـ قائم في جوهر اللغة.

ـ واسع جدا فكل قول هو قول حجاجي، وهذا فيه مبالغة كبيرة، لأن للغة وظائف لا تقل أهمية عن الحجاج.

من خلال هذه نتيجتين يتضح لنا بأن الباحثان "ديكرو وأنسكومبر" ربطا الحجاج باللغة فجعلا من كل قول حجاج على عكس ببرلمان الذي يرى أن القول الذي لا يهدف إلى الإقناع لا يعد حجاجا وإنه ما يبقى عبارة عن قول أدبي.

يمكن القول أن أعمال هذين الباحثين أعمال بنيوية تغلق النص أو الخطاب، ولا تتعامل مع خارجه، وضمن هذا الداخل اللغوي تحيل اللغة على ذاتها، لأنها تعكس عملية قولها

[1] – أبوبكر العزاوي ،الحجاج في اللغة،ص57.

بحيث يكون معنى القول هو ما ينقله من وصف وتمثيل لعملية قول ذلك القول[1] يهتم بالقول بمعزل عن كل الظروف المحيطة به (بنية مغلقة).

3.3.2 الحجاج عند ميشال مايير (Michelle Mayer)

عرف مايير الحجاج بقوله: "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمينه"[2] الحجاج عند مايير يقوم على مستويين ضمني وصريح.

فالحجاج الضمني حسبه هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي إشارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام وتلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة"[3]، هذا النوع من الحجاج يفهم من خلال السياق.

ولكن أهم ما يمكن رصده في العملية الحجاجية هو ربطه لنظرية الحجاج بنظرية المساءلة، فالحجة عنده عبارة عن جواب أو وجهة نظر أجاب بها عن سؤال مقدر سيستنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب، أو يمكن أن نقول أن الحجة هي عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه[4]، هذه النظرية ترى بأن كل جواب يتضمن سؤال ضمني يستخلصه المتلقي من الجواب بنفسه.

فالسؤال عنده هو عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة، تكون هذه المشكلة موجودة فيها، فالمتلقي في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرح وهو الحجة ولكن بمساعدة معطيات مقامية[5]، يكتشف السؤال من خلال جواب المتلقي الذي يفرضه السياق.

---

[1] – شكري المبخوت، نظرية الحجج في اللغة،كلية الآداب،منوبة ،تونس،ص358.

[2] – عبد الله صولة،الحجاج في القرآن الكريم، ص37.

[3] – عبد الله صولة،الحجاج في القرآن الكريم، ص37

[4] – المرجع نفسه، ص38.

[5] – المرجع نفسه، ص39.

4.2.المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا:

لم يستطع المحدثون إضافة شيء جديد فيما يخص العمليات الحجاجية وهذا لكون آراءهم جاءت مقلدة لما هو سائد لدى الغربيين وذلك من باب أن الشعوب العربية تعد أول مستهلكة لكل ما يأتي من الغرب سواء كان جيدا أو رديئا وسوف نتطرق إلى رصد بعض أراء الباحثين العرب حول النظرية الحجاجية.

يعد الدكتور أبو بكر العزاوي من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية الحجاجية بحكم انفتاحه على النظريات الغربية.

يرى بأن نظرية الحجاج ليست مقرونة بالبدايات الكلاسيكية للبلاغة الأرسطية فأساس هذه النظرية تنطلق من أقطاب مدرسة "أكسفورد" ويعني كل من "أوستين" و"سيرل" اللذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية وقد قام "ديكرو" بتطويرها، كما اعتبر أن المراد من مفهوم الحجاج هو ما أسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[1]، كما يرفض أبو بكر العزاوي الآراء التي تقر بأن أساس قيام العملية الحجاجية انبثقت من أراء أرسطو وإنما أرجعها إلى مدرسة "أوستين وسيرل" وما أتى به ديكرو من خلال تطوير نظريتهما" أوستين وسيرل" ومن خلال رأيه هذا يتضح لنا أن أبوبكر العزاوي قد جعل الحجاج يقوم داخل الخطاب أي اللغة فلا وجود للحجاج خارج القول فكل قول هو حجاج .

أما محمد العمري فقد نظر إلى الحجاج بطابع إقناعي وهذا تأثرا بالفلاسفة اليونانيين ونجد هذا واضحا في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي "إذ يقول: "لقد حمل أفلاطون محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالاقتناع بدل البحث عن الحقيقة"[2]. ربط الحجاج بفعل

[1] – حسين بوبلوطة،الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ،ص31.

[2] . المرجع نفسه، ص32

الإقناع والتأثير في نفوس الآخرين وما نلمحه من خلال هذه الآراء أنها اعتمدت على منطلقات من أراء الغربيين فشكلت آراءها الحجاجية.

وما يمكن أن نستنتجه من خلال تعرضنا لهذه التعريفات التي وردت من طرف الغرب أو العرب والتي أوردناها في المسار التاريخي للحجاج ما يلي:

ـ مجال الحجاج هو الاحتمال وليس مجال الحقائق البديهية الطبيعية.

ـ إن الحجاج يهدف إلى جعل العقول التي يوجه إليها تنخرط في الأطروحة.

ـ إن الحجاج يهدف إلى تأسيس موقف معين ومن هنا فهو يتجه إلى المتلقي.

ـ الحجاج يعتمد على مجموعة من الحجج التي تؤدي إلى نتيجة.

ـ إن الحجاج أوسع من الجدل فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا[1].

وما يمكن أن نقوله في النهاية بأنه من العسير الوقوف على تعريف شامل ووحيد للحجاج وذلك باختلاف منطلقات ومشارب أصحاب هذه التعريفات.

[1] . هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا، ص 50

3آليات الحجاج في المثل الشعبي القبائلي:

1.3من منظور بلاغي:

كان اهتمام البلاغيين منذ القدم كبيرا بالحجاج إذ أعطوه أهمية كبيرة في التعبير والخطاب، وحتى رواد البلاغة الجديدة أمثال بيرلمان وتكتيكاه قد أقروا بالأهمية الكبيرة التي تلعبها الآليات البلاغية المختلفة كالاستعارة والتشبيه والكناية...إلى غير ذلك من الآليات في الحجاج والاحتجاج، ونظرا لطبيعة مدوّتنا التي تتمثل في الأمثال الشعبية التي هي قمّة في البلاغة، سنحاول استخراج بعض الآليات البلاغية التي تساهم في الحجاج لاستهواء القارئ ولإقناعه.

كما يبدو لنا أن الجانب البلاغي من الكلام هو ما يجعله أكثر إقناعا و تأثيرا في المتلقي و هذا ما توصل إليه البلاغيون القدامى فجعلوا معيار الكلام المقنع مرتبطا بمدى بلاغته.

وسنحاول إبراز دور الآليات البلاغية في جعل الخطاب أكثر احتجاجا و أكثر إقناعا و ذلك بتقديم أمثلة من نصوص الأمثال الشعبية القبائلية التي بحوزتنا.

1.1.3 الألفاظ:

للألفاظ دور كبير في جلب القارئ واستمالته، لذلك ينبغي على المخاطب أن يختار ألفاظه بعناية والكلمات اللائقة التي تعبر عن حاله وموقفه بدقة كي يتمكن من التأثير على المتلقي، إنّ للكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية وترشحها لأن تكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية، وأن لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص حركة تقصي فيها غيرها وتعوّضه وتحلّ محلّه ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع[1].

[1]- نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو: 2012م، ص 54.

إنّ انتقاء الألفاظ اللازمة ليست المسألة الوحيدة الرامية إلى التأثير على المتلقي، بل هناك تركيب الألفاظ واستخدامها في الموضع المناسب لها لخدمة الموضوع الذي يجري في الخطاب[1].

ولعل الأمثال الشعبية (القبائلية) من الفنون الأدبية التي تمتاز بحس الترغيب والاستعمال فنجد الكثير من الأمثال قد ركبت بشكل مناسب يتناسب أحيانا مع الخطاب والموضوع وأحيانا أخرى مع الشعر، فهذا المثل يبيّن ذلك:

"ذي ديق ايتفان ورقاز وين اصبرن ايلاز"

ونص هذا المثل سبق أن ذكرنا معناه و مضربه في ما سبق من هذا البحث لذلك سنحاول مباشرة توضيح الدور التي تلعبها الألفاظ في إعطاء النص الحجة التي يمكن إقناع المتلقي بها.

فهذا مقطع شعري من قصيدة الشاعر معطوب لوناس أحسن اختيار الألفاظ وتركيبها لخدمة الموضوع والقصيدة معا، فنلاحظ أنّ هناك تقديم وتأخير.

وكما نلاحظ أيضا في مثل شعبي قبائلي آخر أنّ استعمال الألفاظ مختلف من مثل إلى آخر، ففي نص هذا المثل:

"**سكسو إيزوار ثزليث**".

ترجمة إلى اللغة العربية:الكسكس يسبق الصلاة.

"**طعام إيزوار ثزليث**"[2].

ترجمة إلى اللغة العربية: الطعام يسبق الصلاة.

رغم أنّ كل من الكلمتين "سكسو" و"طعام" توحي إلى الأكل في نفس المثلين الشعبيين إلا أنّ كلمة "سكسو" قد استعملت لتدل على الطعام اللذيذ أو الشهي بينما استخدمت كلمة

[1]– نعيمة يعمرانن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، ص 54.

[2] – Tahar Hamadache, Nnan imzwura, proverbes Berbères de Kabylie, P 20.

"طعام" لتدل على الأكل عامة، إلا أن الكسكس يعرف بالطبق اللذيذ ويعتبر أحسن الأكل في الثقافة الشعبية القبائلية.

وكما أنّ دور الأصوات في الألفاظ هام جدا لاستمالة السامع أو المتلقي، وهذا ما تمتاز به الأمثال الشعبية القبائلية، فكثير منها (الأصوات) ترد من مخارج متقاربة ليسهل اللفظ ويقوى المعنى، كما أنّ تلك الأمثال الشعبية يغلب عليها السجع الذي هو توافق في الفواصل أي الحرف الأخير مما يجعلها عذبة السمع وقوية الدلالة والمعنى.

كما سبق وأن ذكرنا، فالمثل يتميز بجزالة اللفظ، أي اللفظ الدقيق والقليل والمصيب للمعنى، وهذه من بين المميزات التي تجعل لفظه ملائما لغرض خطابه، وحسن التركيب والصياغة.

ومن بين هذه الأمثال التي تجسد هذا التناغم الصوتي المتمثل في السجع نذكر هذا المثل الذي يضرب على الشخص الذي لا يستوعب من كلام وحكم غيره فهو ثقيل الفهم.

"**وين يلان أذلفاهم يفهم، وين يلان ذغيول أذيوهم**"[1].

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية:الفاهم يفهم، والحمار يبقى يفكر.

ولتقريب معنى هذا المثل سنذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية، حتى ولو ذكرنا مقابله في المعنى وكذا الألفاظ فيما سبق، ومن هذه الأمثال:

"**الفاهم يفهم بالغمزة، والبهيم يفهم بالدبزة**".

"**العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه إشارة**".

ومن هنا يتضح لنا بأنّ السجع من نص المثل إيقاعا صوتيا يؤثر كثيرا في ذهن المتلقي وذلك ما يساعد على التأثير فيه بغية إقناعه.

[1] – Sakina Ait Ahmed– Slimani, proverbes Berbères de Kabylie, P 126.

وكمثال آخر على ذلك نذكر نص المثل الذي له حكمة مفادها أنّ الإنسان يجب عليه أن يهتم بمظاهره الخارجية أكثر من الغذاء والشهوات فيضرب على الإنسان الذي يكون سعيه وراء بطنه وجوعه.

"**سوفغيثن لسان أويزري حد غ فاشوا نسان**"[1].

ولتقريب معنى هذا المثل نذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية:

"كول واش تحبّ ولبس واش يحب الناس".

نلاحظ جليا السجع في عدة ألفاظ مثل "لسان" و"نسان" أي "لبسوا" و"باتوا" والسجع في حرف النون مما يعطي لهذا النص بعده الصوتي الذي يؤثر في المتلقي، وحسن التركيب بين الألفاظ يساهم في إقناع المخاطب والتأثير فيه.

كما سنضيف هذا المثل لتوضيح أكثر في دور الألفاظ ألإقناعي الحجاجي.

"**أرڤاز ذوال ماشي ذا سروال**".

معناه أنّ الرجل مقيد بكلامه وليس بمظهره ومكانته فالكلمة هي التي تحدد رجوليته ومن الأمثال الشعبية العربية التي تحمل نفس المعنى:

"رأس مال الراجل كلمتو" ونلاحظ كيف أنّ الألفاظ متّزنة صوتيا ودلاليا في هذه الأمثلة مما يعطيها دورها الحجاجي والإقناعي على المتلقي.

لقد تشبعت الأمثال الشعبية القبائلية بخاصية أخرى تمثلت في الجناس، وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى، وهو نوعان: تام وناقص، غير أنّ الجناس المهيمن على هذه الأمثال هو الجناس الناقص. ومن بين هذه الأمثلة نجد:

"**مايَف مايَف وين إخذمن كرا أثياف**".

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الإنسان الذي يعمل عملا سيعود عليه.

[1] – Sakina Ait Ahmed– Slimani, proverbes Berbères de Kabylie, P 126.

و كمقابل لنص المثل هذا في الأمثال العربية: من جدّ وجد ومن زرع حصد.
ويضرب هذا المثل في الشخص الذي مهما ارتكب من ذنوب أو محاسن فسوف يأتي يوم أين يجني ثمار ما ارتكبه خيره ودنيئه مهما طال الزمن.

و يعتبر الجناس من أهم أركان الفاعلة للأمثال فهو تدفع النفس إلى الإصغاء إليه والميل نحوه، ويزيد المثل رونقا وجمالا مما يجعل المستمع يتمتع بسماع هذه الأمثال والإيقاع الموسيقي المكثف في هذه الأمثال يجذب القراء إليها فأصواتها وألفاظها جاءت منسجمة ومترابطة، فكل شطر يكمّل الآخر.

إن التناغم الصوتي الذي يتيحه كل من السجع والجناس في نصوص الأمثال الشعبية القبائلية تجعلها حجة يمكن للمخاطب أن يعتمد عليها في كلامه لإقناع المتلقي، و هذا دون نسيان جزالة اللفظ وانتقاءه التي تعتبران من مميزات الأمثال فهذا كله يجعلها السبيل الأمثل لتأثير على المتلقي بغية إقناعه.

2.1.3الصور البيانية:

إن للصور البيانية تأثير كبير في الخطاب، اذ تجعله قوي الحجة لاستمالة المتلقي و استهوائه و توجيهه إلى الغرض الذي يرمي إليه المتكلم حيث يلجأ إلى استعمالها كل خطيب في أي مجال أو موضوع كان وهي كالتالي:[1]

-الاستعارة:

لقد جعل علماء البلاغة من الاستعارة أهم الركائز في الحجاج فهي من الآليات البلاغية الرئيسية نظرا لما تحققه من نتائج ايجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ و هذا ما عبر عن عنه طه عبد الرحمن في قوله:" العلاقة الاستعارية هي أدل ضرب المجاز على ماهية الحجاج"[2].

[1] – نعيمة يعمرانن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير،ص59

[2] – المرجع نفسه، ص 59

وكما نلاحظ أيضا أن رواد البلاغة الجديدة على غرار بيرلمان أنهم اهتموا و ركزوا كثيرا على الاستعارة و أولولها الاهتمام لدورها الكبير في الحجاج.

إن طبيعة النص الذي نحن بصدد دراسته ألا وهي الأمثال الشعبية القبائلية بحر غزير من المعاني و الدلالات و لقد صورت بتشبيهات فالمثل تشبيه و تمثيل في حد ذاته مما يجعل نصوصها مليئة بالاستعارات، كون الاستعارة تشبيه حذف احد ركنيه الأساسين إما المشبه فتسمى استعارة تصريحة وإما المشبه به فتسمى استعارة مكنية، مما يجعلها أقوى و أجمل في المتن و أدل و أقوى في المعني و الحجة لأنها تصور الواقع بالمجاز وتجعله قريبا منه.

الاستعارة فن نقل الواقع والحقيقة عن طريق المجاز فهي المزاوجة المثالية بين الواقع

و المجاز،فهي إيراد المعنى الواقعي باللفظ المجازي و تتيح للمخاطب التأثير في المتلقي لعذوبة الخطاب و الاستعارة.

جاء في تعريف ابن الأثير للاستعارة في كتابه المثل السائر: (حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بمشاركة بينهما)[1]

الاستعارة هو التعبير عن لفظ بأخر لعلاقة دلالية تجمعهما، وهذا الأسلوب التمثلي و المجازي اذ يسمح بالتأثير على المتلقي و إقناعه.

ويعرف طه عبد الرحمن الاستعارة في موضع آخر:(ويظهر هذا التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه سواء صرح به أو لم يصرح به، وغالبا ما يقترن فيها مقاميا أو حاليا بنسق من القيم العليا اذ ينزل منزلة الشاهد و الدليل الأفضل)[2].

[1] –– نعيمة يعمرانن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، ص59

2 المرجع نفسه، ص 61

إن تعريف طه عبد الرحمن يبين أهمية و دور المستعار منه أو المنقول منه و هو الذي يحدد نوع الاستعارة والغرض منها.

إن الأمثال الشعبية القبائلية تعابير تحمل في نصوصا استعارات مختلفة و متنوعة تجعلها مؤثرة في ذهن المتلقي وهي تسمح للمتكلم بنقل الواقع إلى المتلقي بأسلوب مجازي تجعل من فهمه للرسالة و الاقتناع بها أمرا غاية في البساطة و الوضوح، ومن بين الأمثال الشعبية القبائلية الكثيرة التي تجسد ذلك نذكر نص المثل القائل:

تجعل الاستعارة من نص المثل حجة بلاغية تؤثر أيما تأثير في المتلقي فهو ينجذب إليها ويميل لها لحسن تشبيهها وهذا ما يجعلها تؤدي دورها الحجاجي و الاقناعي على أتم وجه.

وكمثال على الدور الكبير الذي تؤديه الاستعارة في الحجاج نذكر نص المثل الشعبي القبائلي القائل: "**ذا غيول اديجان ثذنا**"[1]

ولشرح نص هذا المثل سنحاول ترجمته إلى اللغة العربية : الحمار هو الذي أورث الضحك،و المعنى من نص المثل أن كثرة الضحك من قلة الأدب كما أنها تذهب المروءة فيضرب على الإنسان الذي يضحك كثيرا و لأتفه الأسباب،وهذا هو معناه ومغزاه العام الذي يأتي فيه نص هذا المثل.

إن نص هذا المثل يشبه الإنسان الكثير الضحك بالحمار ولقد حذف المشبه و ذكر المشبه به، إن هذا التشبيه الذي نقل صورة الإنسان إلى الحيوان يجعل من الخطاب مؤثرا و مقنعا في المتلقي.

أغلب الأمثال الشعبية القبائلية تحمل استعارات، فهي كثيرا ما تقدم الواقع و تشبهه بأسلوب مجازي فيأتي سهل الفهم و الاستيعاب وعذب النطق و جميل التركيب وهذا ما

[1]Tahar hamadache, nnan imzwura, proverbes berbères de Kabylie, p80

يجعل من المثل مؤثرا في ذهن المتلقي و مساهما في إقناعه على صحة قضية أو موقف ما أو عدمهما.

-التشبيه(التمثيل):

يساهم إن التشبيه بقدر كبير في الإقناع، لكن ليس بقدر الاستعارة و هذا كون التشبيه لا يؤثر كثيرا على المتلقي ك الاستعارة فهي مركز الحجاج[1]

ومن بين علماء البلاغة الذين أشادوا بدور التشبيه في الإقناع نجد عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن لتشبيه دورا هاما في الحجاج اذ يقول:(و اعلم أن مما اتفق العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه فنقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وأكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها و دعا القلوب لها واستشار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا)[2].

الأمثال الشعبية القبائلية تمثيل وتشبيه قبل كل شيء فهي تصوير الواقع عن طريق تشبيهه بشيء أو حدث يكونان مشتركان في علاقة دلالية فيه إما في صفة أو حال .

فنجد الأمثال الشعبية القبائلية تمثل تلك المواقف و الحوادث التي ضربت و قيلت فيها من خلال تشبيهها بمواقف أخرى.

[1] – نعيمة يعمرانن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص62

2–المرجع نفسه، ص62

للتشبيه أهمية بالغة في التأثير على المتلقي أثناء الخطاب و هذا ما سنوضحه من خلال إعطاء نماذج من نصوص الأمثال الشعبية القبائلية التي تحمل تشبيهات مختلفة ومن بينها نذكر: "**أدونيث أم أثرڤـيث**" [1]

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الدنيا كالحلم

وهذا المثل يحمل معنى أن الإنسان عليه أن يعرف أن الحياة الدنيا ستزول و تنتهي لذلك ينبغي عليه أن يكون واقعيا لا أن يكون حالما ولا ساعيا وراء لذات وشهوات الدنيا الفانية فالمثل يضرب للتوجيه الإنسان و نصحه بعدم الانشغال الكبير و المفرط بالدنيا و ما فيها وكشرح أدق لمعنى ومغزى المثل نذكر الآية القرآنية الكريمة: " المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا"[2].

نلاحظ أن نص المثل تشبيه حيث يشبه الدنيا و ما فيها بالحلم الذي يزول لمجرد الاستيقاظ من النوم، فالمثل يشبه الدنيا الذي هو المشبه بالحلم الذي هو المشبه به وهما يشتبهان في سرعة الفناء والزوال وهذا التمثيل يسمح لخطاب بان يكون مؤثرا ومقنعا لدى المتلقي.

إن التشبيه يتيح التمثيل بين أشياء تربط بينها علاقة وهذا ما نلاحظه في نص هذا المثل.

ومن بين الأمثال التي تبرز دور التشبيه في التأثير و الإقناع نذكر نص المثل الشعبي القبائلي القائل: "**انفـڤـي يون واس ذفساس انفـڤـي يال واس ذمساس**"[3].

واشرح المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: ضيف نهار واحد ثمرة تين و ضيف كل نهار ثقيل.

---

[1] محمد مزيان، بني دوالا تزي وزو، 2013.02.05

[2] الاية46، سورة الكهف

[3] Tahar hamadache, nnan imzwura, proverbes berbères de Kabylie, P 47

يضرب هذا المثل على الإنسان الذي يثقل على الآخرين ولا احد يطيقه لغلاضته و سوء تصرفه لأنه لا يحترم قواعد وأصول أدب الزيارة وسائر القيم الاجتماعية.

أن التلاعب في تقنيات التمثيل و التشبيه في نصوص الأمثال الشعبية القبائلية يجعل المعنى أكثر وضوحا للفهم والاستيعاب و بالتالي أكثر إقناعا و حجاجية حيث نجد أن نص المثل هذا شبه الضيف و في حالتين: عندما تكون زيارته خفيفة يكون كثمرة التين لذيذة الطعم والذوق. عندما تكون زيارته ثقيلة و تدوم طويلا يكون كالطعم الرديء أو الإنسان المثقل وبهذا التمثيلات تكون صورة الضيف على حالتيه مفهومة من المتلقي وتجعله أكثر إدراكا لها مما يجعله مقتنعا بنص المثل و معناه ومغزاه.

يظهر التشبيه في الأمثال الشعبية القبائلية إما في صورة ظاهرة تكون فيه أركانه واضحة و إما في صورة ضمنية تفهم من السياق، وكلتا الصورتين تكونان مهمتان في نص المثل فهي تسمح للمتكلم بالتحكم بمقاصد كلامه كما تتيح له التعبير بأفضل الصور التمثيلية مما يساعده كثيرا في الاحتجاج بقضيته و تتيح له إقناع المتلقي و التأثير فيه.

-<u>الكناية</u>:

تعد الكناية من بين آليات الحجاج البلاغية التي تساهم في حجاجية الخطاب وجعله حجة تقنع المتلقي وتؤثر فيه.

ولقد جاء في تعريف الزركشي: "وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يجيء على معنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيومىء إليه ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى".[1]

[1]- نعيمة يعمرارن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 66.

ولقد جاء في تعريف ابن الأثير لها في كتابه المثل السائر أنّ الكناية هي التلفظ بشيء والمراد شيء آخر لهذا الشيء الذي تلفظنا به له علاقة بالذي نريده.[1]

ولعل المثل الشعبي القبائلي أكثر ألوان الأدب تجسيدا لهذه الصورة البيانية إذ تمثل أحد خصائصه فالمثل يمثل جودة الكناية في حدّ ذاته إذ يعبر عن أشياء ومواقف بألفاظ غير تلك التي تجسد تلك المواقف والحوادث والأشياء، وهذا ما يتيح له أن يكون حجة مقنعة في نظر المتلقي والمخاطب.

ومن الأمثال الشعبية التي تمثل جودة الكناية ودورها الحجاجي نذكر:

"**أقموش ذمڤر إيفاسن ذنڤر**".[2]

ويضرب هذا المثل على الإنسان الصعب المزاج وشديد الغضب وسريع الهيجان فيكنى بها الشخص الذي يضرب عليه المثل الذي يحمل معاني التعصب والغضب الشديد.

والمثل عبارة عن تجسيد لصفة إنسان لا يتحكم في نفسه فيكون سريع الغضب ومقبلا على العراك والاختصام مع غيره.

ومن أجل تقريب معنى هذه الكناية سنقدم شرحا لنص هذا المثل باللغة العربية، حيث أنّ المعنى المراد والمقصود هنا هو: الفمّ منجل واليدين (كارثة) نعني بها موت وخلاص وتطهر الكناية في التشبيه الذي يحمله نص المثل حيث يشبه الإنسان الذي يكون سريع الغضب بحدة المنجل و قيام القيامة.

ومن الأمثال الشعبية القبائلية الأخرى التي تحمل جودة الكناية نذكر:

"**أخاميس أورذا سيزمير، لجامع يطفاس أمزير**."[3]

[1]– نعيمة يعمرارن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 66– 67.

[2]– روته السيدة الحاجة صوفية، صدوق، بجاية، 2013.01.15

[3] – Sakina Ait Ahmed– Slimani, proverbes Berbères de Kabylie, P127

ولشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: مشاكله الخاصة لا يقدر على حلها و يريد حل مشاكل غيره و هذه ترجمة لمعنى المثل لا ترجمة حرفية.
ويضرب هذا المثل على الإنسان الذي يترك أعماله ومشاكله ليهتم بأعمال ومشاكل الآخرين فالمثل كناية عن هذا الشخص الذي يهتم بغير أموره.

ونلاحظ جليا أنّ الكناية ساهمت في جعل نص المثل أكثر حجاجية وإقناعا لأنّها تكثيف وتقوية للمعنى، وهذا ما جعلها تكون آلية من آليات الحجاج البلاغية التي تجعل التعبير أو الخطاب مقنعا ومؤثرا على ذهن المتلقي.

2.1.3الالتفات:

يلعب الالتفات دورا مهما في الحجاج، إذ يتيح للمخاطب التأثير والضغط على المتلقي بلفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة من الرسالة التي يهدف إلى إيصالها وإبلاغها[1].

يعرف ابن الأثير الالتفات على أنّه مأخوذ من التفات الإنسان إلى يمينه أو شماله وكذلك يكون الكلام خاصا، فهو ينتقل من صيغة على أخرى كالانتقال من حالة الغياب إلى الحضور أو العكس[2].

إنّ الالتفات يؤثر بشكل مباشر على ذهن المتلقي، فهو يجلب انتباهه إلى موضع الخصوصية الكامنة في الرسالة وهذا يتم بمفاعلة الأزمنة في الرسالة وتوزيع الضمائر، ولقد أقرّ بيرلمان بهذا الدور الذي يلعبه الالتفات في ذهن المتلقي إذ يقول أنّ هذا التوزيع والمفاعلة بين الأزمة والضمائر يجعل المتلقي في قلب الرسالة، فيتفاعل منها ولا يمل من زمن واحد وضمير واحد.

[1]– ينظر نعيمة يعمرارن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 70.
[2]– المرجع نفسه، ص 70.

إنّ نص المثل الشعبي القبائلي يحمل ويجسد هذه المفاعلات بين الأزمنة والضمائر، إذ تجد أمثالا تكون بصيغة الجمع والمفرد ومنها ما هو بصيغة الماضي والمستقبل والأمر.

إنّ الأمثال تلفت انتباه المتلقي سواء بالتفاعلات التي تكون عليها أزمنة أو بنية الملفتة إلى الانتباه في حدّ ذاتها وهذا يعود إلى خصائصه الفنية اللغوية.

ومن الأمثال الشعبية القبائلية التي سنشهد لها نذكر:

" **تمديث ادقرن مدن لعسلما**"

ومن أجل تقريب المعنى نذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية: لخبر يجيبوه التوالى.

يحمل هذا المثل حكمة مفادها أنّ النتائج وحوا صل الأعمال تأتي في الختام، أي ما عملت في اليوم ستكافئ به في النهاية، وهذا المثل نصيحة يقدمها الناس إلى بعضهم البعض لتجنّب عواقب النهاية، فهذا ما يلفت الانتباه على نص هذا المثل ويجعله مؤثرا في ذهن المتلقي، لأنّه يحاول تقديم نصيحة وإرشاد لتجنب العواقب الوخيمة والندم في آخر المطاف.

إنّ طبيعة نص الأمثال الشعبية القبائلية تلفت الانتباه كونها جزيلة اللفظ، عذبة النطق، قوية الدلالة، وهذا ما يجعلها تجذب السامع والمستمع إليها.

3.1.3التفسير بعد الإبهام:

لقد أقرّ بيرلمان بدور التفسير في الحجاج والإقناع إثر تحدثه عن آليات الحجاج البلاغية، إذ يتيح التفسير للمتلقي فهم الرسالة[1]، لأنّ أسلوب الخطاب يكون مفسرا أي يشرح المتكلم رسالته لتقريبها إلى المخاطب وذلك بأسلوب بسيط وسهل.

كثيرا ما تحمل الأمثال الشعبية القبائلية هذه التفسيرات بعدما يكون شطرها الأول لغزا مبهما، فيأتي الشطر الثاني ليبيّن أو يشرح أو ليفسر غموض النصف الأول من نص تلك الأمثال الشعبية القبائلية، ومن بين تلك الأمثال الكثيرة نذكر على سبيل المثال:

"وين ايشان ايشا وين اورنشي ثاربويث ثتواكس"[2]

ومن أجل تقريب معنى هذا المثل سنذكر مقابله في الأمثال الشعبية العربية: "لي فاتوا لكلام يقول سمعت و لي فاتوا لطعام يقول شبعت" ويضرب هذا المثل للدلالة على أهمية الوقت وضرورة الالتزام به فلا ينبغي تبذيره في الراحة و الأعمال غير المفيدة.

يكمن الإبهام في هذا المثل في لفظة "وين أورنتشي" أي "الذي لم يأكل" فالمتلقي يبقى حائرا عندما يقف الحديث أو الكلام في هذه العبارة.

كمظهر آخر لآلية التفسير في نصوص الأمثال الشعبية القبائلية نذكر:

"امغبون ذ وين ارنسعي راي"[3]

ولتقريب معنى هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية : الفقير من لا رأي له و المغزى من هذا المثل هو أن على الإنسان أن يتمتع برأيه الخاص به عن الأشياء و يؤمن به لا أن

[1]– نعيمة يعمرارن ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 76.

2 روته السيدة خيرة لعمري، منطقة بني دوالى، تزي وزو، 2013

[3] Tahar hamadache, nnan imzwura, proverbes berbères de Kabylie, p78

يترك الآخرون يقررون في مكانه لأن ذلك يجعله فقيرا ، فهذا المثل يضرب على الإنسان الذي لا يتمتع برأي و مكانة في المجتمع.

ونلاحظ في نص هذا المثل أنّه ينقسم إلى قسمين هما:

القسم الأول: المغبون (الفقير)

القسم الثاني: اللي ما عندوش الراي (الذي لا رأي له)

ونلاحظ أنّ القسم الثاني يكمل ويشرح القسم الأول فيعطي له الدلالة الواضحة والمعنى الدقيق وهو فسر معنى الأول، وبهذا يكون التفسير بعد الإبهام آلية بلاغية يمكن الاحتجاج بها للتأثير على المتلقي وإقناعه.

4.1.3التكرار:

للتكرار أيضا دور هام في حجاجية الكلام، إذ يلعب دورا في تأكيد المعنى وتقريبه وترسيخه في ذهن المتلقي، وهذا ما أشاد به بيرلمان فأعطى له نفس دور الآليات الأخرى كالتفسير[1].

وقد ورد تعريف نور الدين السد للتكرار حيث قال: « إنّ للتكرار قدرة على جلب انتباه المتلقي وتكثيف الإيقاع الموسيقي في النص وتأكيد الظاهرة المتكررة تأكيدا لأهميتها وفعاليتها على النص الشعري ».[2]

ونلاحظ أنّ هناك نوعين من التكرار الذي يأتي بفائدة والذي يأتي بغير ذلك، وفي دراستنا سنصب اهتمامنا على التكرار الذي يأتي بفائدة، فذلك هو دوره الحجاجي والإقناعي وبهذا

[1]- ينظر نعيمة يعمرارن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص80

[2]- نور الدين السد، تحليل الخطاب الشعري، د ط. الجزء01، الجزائر: دت، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 105- 106.

الشأن يقول ابن الأثير في كتابه المثل السائر: « واعلم أنّ المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له وتشددا من أمره »[1].

والأمثال الشعبية القبائلية تعجّ بالتكرار، وذلك من باب أنّ المخاطب يريد أن يؤكد موقفا حدث معه وكثيرا ما نلاحظ تكرار الألفاظ في أغلب الأمثال الشعبية القبائلية، لأنها تلعب دورا كبيرا في الاحتجاج والإقناع.

ومن أمثلة ذلك نذكر نص هذا المثل الشعبي القبائلي:

"**أرڤاز كان ذراڤز**"[2].

و لتقريب معنى المثل سنترجمه إلى اللغة العربية هو: "الرجل هو الرجل"

يحمل هذا المثل معنى ودلالة هي تقوم بمكانة الرجل الحقيقي، فهذا المثل يعطي احتراما وقدرا كبيرا للرجولة.

نلاحظ التكرار في نص هذا المثل الذي يلعب دور التوكيد على صحة الموقف فهو أفاد التوكيد والتوكيد يقوي المعنى وهذا يؤدي إلى التأثير في المتلقي وبالتالي إقناعه، إذن فتكرار مقوّم من المقوّمات البلاغية التي تجعل الخطاب حجاجيا ومقنعا.

[1]– نعيمة يعمرارن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص80

[2]رواه عباس طاهر، برباشة بجاية، 11.04.2013

2.3الحجاج من منظور تداولي:

1.2.3الحجج المبيّنة للواقع:

تعد الحجج المبيّنة للواقع من أهم الحجج الذي ركز عليها بيرلمان وأكثرها قوة في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي والمخاطب، كونها تعبّر عن حقائق ووقائع متتابعة ومتعايشة[1]، فهي حقائق لا ريب فيها، فأساسها العلم اليقيني والمنطق العلمي، إذ أنّها أمور لا تحمل فيها أدنى شك أو اختلاف لذلك يكون الاستدلال بها أمرا يتيح للكلام أن يكون مؤثرا ومقنعا.

وإن أردنا استخراج هذه الحجج الواقعية من الأمثال الشعبية القبائلية فسنجد فيها:

-الشاهد حال (الحقائق):

إنّ شاهد حال هو التعبير عن وقائع أو أحداث قد عاشها المؤلفون من الشعر أو الأدب على اختلافهم، فهو تجسيد لتجاربهم الخاصة والمتجددة حسب المواقف والأحداث، وبهذا الشأن يقول ابن الأثير عن شاهد حال: « يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربّما يعثر عليه في الحوادث المتجددة وينتبه له عند الأمور الطارئة »[2].

وإن قلنا الأمور الطارئة أو الحوادث المتجددة فنحن نقصد بها نصوص تلك الأمثال التي تعبر عن موقف أو حادث دفع بقائله إلى مثل ذلك القول.

إنّ شاهد الحقائق أو شاهد الحال من بين آليات الحجاج التداولية التي تزيد للخطاب تأثيرا في نفس المتلقي، فهو يجسد التجربة أو الحدث الواقعي بتعبير وأسلوب جميل، ولعل الأمثال الشعبية القبائلية من بين أجمل هذه والتعابير والنصوص الأدبية التي تجسد هذه التجارب المتجددة والمستمرة، ومن بين تلك الأمثال نذكر:

"أزڤر أملال تسمت أكْ".[3]

ولتقريب معناه وشرحه سنترجمه إلى اللغة العربية: الثور الأبيض يكون مليء بالشحم

[1]- نعيمة يعمرارن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 83.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

[3] – Tahar Hamadache, Nnan imzwura, proverbes Berbères de Kabylie, P 50.

وهذا المثل عبارة عن وصف في معناه الظاهري، فهو وصف للنور الأبيض الذي يشبه الشحم وهذا تعبير عن شاهد لهذا الوصف وهو شعور وتعبير منبثق من صميم النفس لذلك يعتبر كشاهد حال، لأنّ حال مؤلف هذا المثل على علاقة بالموضوع مما حثه على التعبير بهذا الشكل، ووصف هذا المشهد بأسلوب شخصي ويكون مثل هذا الوصف مؤثرا في المتلقي ومساهما في الإقناع كثيرا.

-**النموذج**:

كثيرا ما يتأثر أغلب الأشخاص بسلوكات أو أفكار غيرهم ويسيرون على منوالهم ويتبعون خطاهم، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بأشخاص عاديين إذ أنّهم مميزون بصفة ما أو فكر عن غيرهم، وهم يسعون دائما للحفاظ على هذه الخصوصية[1].

وإذا جئنا إلى الأمثال الشعبية القبائلية نجدها قدمت أمثلة كثيرة عن هذه النماذج البشرية في شتى أنواع السلوكات والأفكار، ومن بينها نذكر:

"**لوكان ثخذم سلمى ثيلاق أورثنزي ثايما**".

و لشرح نص المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: لو أن سلمى تعمل لما بيعت الأرض الخصبة.

و يضرب هذا المثل على الإنسان الذي يكون مهملا في عمله وكسولا ولا يحب العمل ولا يكون أهلا لإنجاز أغلب الأعمال البسيطة.

والملاحظ في نص هذا المثل هو الاسم "سلمى" الذي يعد نموذجا استشهد به في نص هذا المثل وهو نموذج أو رمز للإهمال والكسل، فهذا الاسم يدل على معنى الإهمال والكسل في نص هذا المثل الشعبي القبائلي.

ومن بين الأمثال الكثيرة أيضا التي تحمل نماذج بشرية في نصوص نذكر:

[1]- نعيمة يعمرارن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص 85.

"ڤقلّه يرڤْازنْ إِّڤَرانْ محند ذَارقازْ".

ومن أجل توضيح نص هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: "قلة الرجال هو ما جعل من محند رجلا".

ويضرب هذا المثل على الرجل الذي يفتقر إلى صفات وخصال الرجل الحقيقي من أمانة واحترام، فيضرب غالبا على الرجل الجبان أو الرجل الذي فقد رجولته، وقد اتخذ ها المثل من اسم العلم "محند" كنموذج لمثل هذا الرجل الذي يفتقر إلى صفة الرجولة وهذا ما يساعد على التأثير في المتلقي وإقناعه أثناء الخطاب، فالنموذج يتيح للمخاطب الاستدلال والاستشهاد بموقفه ورأيه، والنموذج الحي خير دليل وحجة لإقناع إنسان بأمر من الأمور خصوصا إن كان النموذج معروفا من قبل المتلقي والسامع.

-الاستشهاد:

لا يمكن لأيّ مؤلف الاستغناء عن ظاهرة الاستشهاد في كتاباته من أجل الدلالة على صحة أقواله وإقناع غيره عليها، وهذا باستعمال حجج وبراهين مختلفة سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو الشعر.

وإذا أتينا إلى مدوّنتنا لاستخراج هذه الاستشهادات نجدها تعجّ بذلك نظرا للتأثر الثقافي الكبير بالثقافة العربية الإسلامية، فمعظم الأمثال الشعبية القبائلية تحمل معاني ودلالات إسلامية ومما نمثل به على ذلك نجد هذا المثل:

"غُر ربِّي فرانت أكْ"[1].

ولتقريب معنى هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: عند الله كل شيء له حل وهذا المثل يبيّن عظمة الله، وأنّ كل مشاكل الدنيا ومصاعبها محلولة عند الله، فهو على كل شيء قدير، وليس عليه بعسير فكل شيء عنده يسير.

[1] – Tahar Hamadache, Nnan imzwura, proverbes Berbères de Kabylie, P 96.

ومن بين الأمثال الأخرى التي تحمل معاني إسلامية وتجسد الشريعة نذكر:

"**ذ طبيب اڤتذاوين معنى ذ ربي اڤسوجاين**".

ولتقريب معنى هذا المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: الطبيب هو الداوي لكن الله هو الشافي وهذا المثل يمثل إيمان الناس بأنّ الله عزّ وجلّ هو الشافي والعافي من كل الأمراض والأسقام والمحن، فهو يجسد قدرة الله وعظمته.

وفي الخطاب يمكن أن يكون الاستشهاد بالقيم الإسلامية والنبوية إحدى آليات الحجاج التي يمكن التأثير بها على المتلقي وإقناعه.

2.2.3الروابط الحجاجية:

لا يمكن لخطاب أن يخلو من الروابط الحجاجية لأنّها عناصر فعالة تربط بين قضيّتين، وتساهم إسهاما فعالا في انسجام الخطاب وتماسكه، فهي كذلك تربط درجة وصف هذه القضايا حجاجيا في الخطاب، ومن بين تلك الروابط: غنيّ عن القول، لكن، حتى، فضلا عن، وغيرها[1].

وينتج عن هذا الربط بين القضايا سلالم حجاجية تعمل على ترتيب القضايا حسب قوّتها ودلالتها الحجاجية.

وهذه الروابط يجب أن توضع في مكانها المناسب والصحيح لتؤدي وظيفتها الحجاجية ومن أجل إيصال الرسالة إلى المتلقي، وسنقسم هذه الروابط إلى قسمين:

- **حروف العطف:** سنحاول استخراج هذه الحروف وتبيان دورها في نصوص الأمثال الشعبية القبائلية وكمثال على ذلك:

[1]- نعيمة يعمرارن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، ص90

"**إملاقا موخنزيز ذ مولدّا أذ يرن أزطا**".[1]

ولتقريب معنى المثل سنترجمه إلى اللغة العربية: اتفق صاحب اللعاب مع صاحب السعال للنسج .

وهذا المثل يضرب حين يتّفق شخصان لهما نفس الخصائص والأوصاف وعدم الكفاءة على القيام بعمل على إنجاز هذا الأخير، حتى أنهما يعلمان أنهما لا يملكان الكفاءة لذلك.

نلاحظ أنّ الربط أو العطف في نص هذا المثل أتى بحرف "ذْ" وهو واو العطف، ولقد جاء ليربط بين شخصين ليقوما بنفس العمل الذي هو نسيج القماش، وبهذا نلاحظ أهمية هذه الحروف من أجل تركيب سليم وصحيح يعد مساهما في حسن التركيب الذي يؤدي إلى التأثير على المتلقي ولقد نتج عن هذا الربط هذا السلم الحجاجي:

ولقد ربط الواو (ذ) بين قضيتين لهما نفس درجة الحجاج لأنّ كلّا الشخصين لهما نفس الكفاءة في العمل، وهنا يكمن دور العطف في الحجاج والإقناع.

[1]– رواه السيد بلقاسم عمروش، أميزور– بجاية، 2013.03.18

- **حروف الجر:** إنّ حروف الجرّ أيضا تلعب دورا مهما في الربط بين الأفكار والقضايا، وإذا استعملت في مكانها الصحيح فهي تساهم في الإقناع والتأثير على المتلقي، ومن بين تلك الأمثال نذكر:

ذي ديق ايتفان ورڤاز وين اصبرن ايلاز"

ومن أجل إبراز دور هذه الحروف وجب علينا ترجمته إلى اللغة العربية، فنجد:

"في الضيق يبان الرجل اللي يصبر على المحنة والشدة".

نلاحظ أنّ نص هذا المثل الذي سبق وأن شرحناه في هذا المبحث أنّ حروف الجر تلعب دورا هاما في تركيب الجملة، إذ دلت في (ذي) في بداية الجملة على أنّ الرجل الحقيقي يظهر دائما في الضيق، وهو توكيد أو قناعة مطلقة، وأتى بعد ذلك دور حرف الجر على للدلالة إلى نوع هذا الضيق والشدة والمحنة، وبهذا أتت هذه الحروف كصياغة لغوية تساهم في التركيب الحسن لخطاب أكثر إقناعا و احتجاجا، فالحروف تلعب دورا مهما لا يمكن الاستغناء عنه في الحجاج اللغوي.

خاتمة

إن النهج الذي سلكناه في بحثنا هذا سمح لنا بالوصول إلى عدة استنتاجات سواء ما يتعلق بالمدونة وهي الأمثال الشعبية القبائلية أو آليات الدراسة التي تتمثل في السياق و الحجاج وهذه الآليات تندرج ضمن البحث التداولي.

وأهم ما توصلنا إليه من نتائج في البحث هي:

إن الأمثال الشعبية القبائلية لغة راقية تكون متداولة في المجتمعات القروية أكثر من المجتمعات المدنية ومن خلال نصوص تلك الأمثال الشعبية القبائلية لاحظنا التزاوج بين الثقافات العربية الامازيغية وحتى الفرنسية، كما أنها تراث يحتاج إلى الجمع لأنه يصور التقاليد والعادات الأصلية للشعب القبائلي.

أن الآليات المستخدمة في البحث يمكن تطبيقها على تلك الأمثال شرط التمكن من لغة تلك الأمثال.

من خلال التطرق إلى سياق الأمثال الشعبية القبائلية لاحظنا أنها لغة تلم بأهم المواضيع التي تشغل بال و اهتمام المجتمع المتداولة فيه، ولإدراك سياقها لابد من معرفة الوضع الاجتماعي و النفسي لشعب الذي يعيش في تلك المناطق، كما يتعين على الباحث التعرف على عادات وتقاليد تلك المناطق.

نلاحظ الاختلاف الثقافي بين تلك المناطق التي زرناها في بحثنا التي تتجلى في استخدام الألفاظ المختلفة في نص مثل واحد، كما يمكن ملاحظة الاختلاف بين استعمال النماذج البشرية أو الحيوانية و ذلك يبن الرمز المستخدم فيها.

نجد أن معاني و سياق تلك الأمثال يتغير بتغير المناطق المتداولة فيه، كما نلاحظ التغير الذي يحصل على دلالتها باختلاف الناطق بها.

يعتبر المثل الشعبي القبائلي أدل تعبير يمكن الاحتجاج به لدفاع عن صحة قضية أو موقف في تلك المناطق، فالمثل لغة الحكيم و العاقل في المجتمع القبائلي، ولقد رأينا أن الحجاج ظهر بمعان مختلفة كالجدل والحوار والمناظرة وكل هذه المعاني تفضي إلى غاية واحدة وهي محاولة التأثير والإقناع ووصول المتكلم إلى هدفه فالحجاج عنوان كبير لممارسات فكرية نشيطة يترسب في كافة مناحي الحياة وعند الجميع من أبسط الناس مستوى إلى أعلاهم.

إن الأمثال الشعبية القبائلية تتضمن كل الآليات البلاغية و التداولية التي تسمح لها في أن تكون لغة الإقناع وهذا عائد لما لها من مكانة في الخطاب بين أواسط المجتمع القبائلي.

من خلال الزيارات التي قمنا بها إلى مناطق مختلفة في شتى مراحل البحث كان لنا شرف معرفة بعض النماذج البشرية، توصلنا إلى إدراك أن الاستعمال الكثير للأمثال في خطاباتهم و كلامهم عائد إلى اعتبار تلك الأمثال الحجة الأمثل، كما يعود ذلك الاستعمال إلى التعود على ذلك النوع من الخطاب.

وقد اعتمد المثل القبائلي على الروابط الحجاجية وذلك من أجل انسجام خطابه حجاجيا من جهة وجمال لغته وأسلوبه من جهة أخرى.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

– أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2010.

– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، د.ت.

– أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ج6.

المراجع:

– أبو وليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد بن تركي، دار الغرب

– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط1. ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2005م.

– بشير خلف، الموروث الشعبي، قضايا الوطن، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي، 2006.

– حبيب أعراب،" الحجاج والاستدلال الحجاجي"، عناصر استقصاء نظري، ج3، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

– حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003

– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ، دار القصبة للنشر الجزائر، 2000م.

– رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، دت.

– رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، ، دار الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: 2001م.

– سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، دراسات أدبية، جامعة مستغانم، الجزائر، 2008م.

– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.

–طاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000.

– عبد الحميد بورايو، البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر، 2008.

– عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية (لبرج بوعرريج)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

– عبد الرزاق نبور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج2، 2010.

– عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عالم الأدب الحديث، الأردن، ط1، ج1، 2010.

– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.

– عبد مالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1982.

– عدنان بن زردية، اللغة والدلالة، آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1981م.

–عربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة شعبية جزائرية، دار الهدى ،عين مليلة، الجزائر،دت.

– علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأمثال والحكم، تح: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض السعودية، ط1، 1999.
–علي تاعوينات، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، شارع أولاد سيدي الشيخ، الحراش، الجزائر.

– عمر عبد الهادي، الفلكلور: ونشأته وتعريفه (كتابه الملحمة الشعبية الفلسطينية)، فلسطين، د.ط، د.ت .

– فوزي عيسى، رانية فوزي عيسى، علم الدلالة، النظرية والتطبيق، ط1. الإسكندرية: 2008م، دار المعرفة الجامعية.
– موهوب حروش، المطالعة الأدبية الموجهة، موفم للنشر، الجزائر، 1995.

–محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعات الأمثال القرآنية، ج1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1993.

– مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 2005م.
– محمد مصطفى هيثم، بين نظرية السياق و نظرية الاستلزام الحواري، مقاربة تداولية، جامعة الموصل بغداد، دت.
– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
– محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط4. تح : مصطفى ديب البغا، ، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
– محمد الوالي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، ج2، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007.

– نور الدين السد، تحليل الخطاب الشعري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دت، الجزائر.
– نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3 دار قريب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة.

– هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، 1998

المراجع المترجمة:

– آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ط1. تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2003م.

– باتريك شارودو، دومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، دط. تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، مر: صلاح الدين الشريف، ، دار سيناترا.ج1 ، تونس، 2008م.

– شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، عالم الأدب الحديث، الأردن، ط1، ج5، 2010.

– فيليب، بلانشيه، التداولية من أوسيتين إلى غوفمان،. تر:صابر حباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا: 2007م .

– ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ط1. تر: عبد القادر فهيم الشيباني، الجزائر، 2007م.

الرسائل الجامعية:

– أمين بوشبوط، الروابط الحجاجية في اللغة العربية مدخل إلى النظام الروابط الحجاجية السببية والإستنتاجية (الخطاب السياسي لرئيس الجمهورية أنموذجا)، شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، الإسلامي، بيروت، ط3، 2003.

– حسين بو بلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009.

– عبد الحق سوداني، أدوات الاتساق والانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009م.

– كهينة قاسمي، الأمثال الشعبية بمنطقة المهير، دراسة تاريخية وصفية، رسالة ماجستير، جامعة مسيلة، 2009

– مراد حاج محند ،السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية و التراثية، رسالة ماجستير،جامعة مولود معمري تبزي وزو،2012،

– نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012.

– نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم –سورة النور أنموذجا–، شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.

– هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي "دراسة وسائل الإقناع"، الأربعون النووية أنموذجا،رسالة ماجستير ،جامعة لخضر باتنة ،2009 .

المجلات:

– باديس لهويمل ، التداولية والبلاغة العربية، مجلة الخبر أبحاث في علم النفس والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07.

_ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند "أنسكومبر وديكرو"، مجلة عالم الفكر، ع34، سبتمبر، 2005،

– سعيدة حمزاوي، رؤية نقدية لمنطلقات التفكير في الأدب الشعبي (التلي بن الشيخ : الشعر، القصة، المثل)، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، الجزائر،ع5، مارس، 2006.

–صلاح دين زرلال، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي،مجلة الاثر،العدد1خاص أشغال الملتقى الدولي في تحليل الخطاب.

– غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر بسكرة،ع6، 2010.

– فطومة لحمادي ، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الثاني والثالث 2008م.

– قواوة الطيب الغزالي ، الانسجام النصي و أدواته ،مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد8.

– ياسين سرايعية، إستراتيجية القراءة وتوليد الدلالة في الخطاب الشعري عند أحمد عبد المعطى حجازي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 42، الجزائر: 2009م.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Sakina AIT AHMED, SLIMANI, proverbes Berbères de Kabylie, L'haramattan, 2003.
- Tahar HAMADACHE, proverbe Berbère de Kabylie, édition Tallantikete, 2009.

المواقع الاليكترونية:

CARTE de Kabylie (version 2002) - Archives 1997-2007. -Google, Kabyle.com.

-Google earth, la Kabylie.

- أسامة جاب الله عبد العزيز، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق، جامعة كفر الشيخ(www.pdffactory.com).
- أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى لدكتور سالم صالح محمد.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

- مقدمة.....1

-الفصل التمهيدي.....5

1لمثل الشعبي مفهومه و مميزاته.....6

1.1لغة.....6

2.1اصطلاحا.....8

2المثل الشعبي في كتب التراث.....9

3خصائص المثل الشعبي 11

4مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية.....17

5مميزات المثل الشعبي القبائلي.....19

6القيمة التداولية للمثل الشعبي القبائلي.....20

- الفصل الأول : التداولية وسياق المثل الشعبي القبائلي.....29

1التداولية..... 29

1.1 لغة.....29

2.1اصطلاحا... 31

3.1مفاهيم التداولية.....33

4.1 أعلام التداولية.....34

5.1السياق و التداولية.....36

2السياق.....37

1.2مفاهيم السياق.....37
- السياق عند البلاغين.....39
- عند الغربيين.....43
- النظرية السياقية عند فيرث.....46
3أنواع السياق.....49
1.3السياق اللغوي للمثل الشعبي القبائلي.....49
2.3السياق المقامي للمثل الشعبي القبائلي.....59
3.3السياق الثقافي للمثل الشعبي القبائلي.....61
4 السياق عند هاليداي.....64
الفصل الثاني.آليات الحجاج في المثل الشعبي القبائلي..... 70
-تمهيد.....70
1مفهوم الحجاج.....70
2المسار التاريخي للحجاج.....73
3آليات الحجاج في المثل الشعبي القبائلي.....90
1.3من منظور بلاغي.....90
2.3من منظور تداولي..... 106
-الخاتمة.....113
-المصادر والمراجع.....115
-الفهرس.....124

الملحق.....128

1منطقة القبائل 128

2البحث الميداني.....131

3جمع المدونة وتصنيفها.....133

الملحق

1 منطقة القبائل:

- الحيز الجغرافي والثقافي.
- البحث الميداني.
- جمع المدونة وتصنيفها.

1الموقع الجغرافي لمنطقة القبائل:

تقع منطقة القبائل على إحداثيات: 36.817°ش 4.300°ق (خارطة) منطقة القبائل أو بلاد القبائل هي منطقة جبليّة في شمال الجزائر، يأتي الاسم من اللغة العربية: ("قبائل) غير أنّ سكان بلاد القبائل يسمونها "ثامورث إيذورار" أي (أرض الجبال) أو "ثامورث لقبايل" (بلاد القبائل). بلاد القبائل جزء من جبال الأطلس وهي في حافة البحر الأبيض المتوسط.

تغطّي بلاد القبائل عدّة ولايات جزائرية هي تيزي وزو وبجاية و البويرة و بومرداس وأجزاء من جيجل وسطيف وبرج بوعريريج،و سكان المنطقة هم القبائل.

منطقة أو بلاد القبائل الكبرى و تبعد 50 كم عن العاصمة وتبدأ من ثنية من ولاية بومرداس غربا إلى بجاية شرقا و مركزها تيزي وزو.
منطقة أو بلاد القبائل الصغرى، تبدأ من بجاية وتمتد باتجاه الشرق.
توجد في المنطقة ثلاث سلاسل جبلية هي:
في الشمال، السلسلة الجبلية لبلاد القبائل البحريّة، وأعلى قممها أيت جنّاد 1278م.
في الجنوب، جرجرة وتأخذ معظم الصومام، أعلى قمة لالة خديجة 2308 م.
سلسلة أغاوا، وتقع بين السلسلتين السابقتين. هذه المنطقة هي الأكثر كثافة بالسكّان وفيها أكبر مدينة قبائلية، (بجاية)، معدل ارتفاعها 800 م[1].

[1] الموسوعة الحرة، ويكيبدا،Google، منطقة القبائل، بتصرف

1

2

1

[1] Google, ARTE de Kabylie (version 2002) – Archives 1997-2007 – Kabyle.com

2 المرجع نفسه

1Google earth, la Kabylie

2 المظهر الثقافي لمنطقة القبائل:

تمثل منطقة القبائل التراث العريق الذي بقي على حاله طيلة عصور طويلة من الزمن، فهي لازلت محتفظة بلغتها الأم و هي اللغة الامازيغية، إذ كانت هده المنطقة مستقلة عن باقي الولايات إبان الفتح العثماني لشمال إفريقيا،وهذا ما مكنها من الاحتفاظ بالعادات و التقاليد الأصلية لتلك المنطقة.

منطقة القبائل امتزاج لحضارات عبر العصور مما اكسبها تنوعا ثقافيا تزخر به، وما يعرف به سكان تلك المنطقة هو حبهم العميق للحرية كونها ينتسبون إلى الامازيغ التي تعني حب الحرية،وما تعرف به أيضا منطقة القبائل في عاداتها و تقاليدها هو الهيمنة الذكورية على المرأة، إلى إن هذه الهيمنة لقيت تحديا من المرأة من خلال أساطير كالغولة وهذه الحكايات ترمز إلى إمكانية تمرد المرأة على الهيمنة الذكورية وهذا ما يرمز إلى وجود عنف رمزي.

إلى جانب هذا المعتقدات السائدة في منطقة القبائل نجد أن المرأة قد لعبت دور المعلم و المربي في الوقت نفسه لغياب المدرسة فهي من قامت بتعليم الأطفال القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع القبائلي.

3البحث الميداني:

لقد قمنا في هذا الجزء من البحث بزيارة عدة مناطق من القبائل في مدينة بجاية وتزي وزو من أجل جمع نصوص الأمثال الشعبية المتداولة في تلك المناطق، ولقد قمنا بجمع بعضها على لسان بعض الشيوخ كونهم الأقرب إلى معرفة عادات وتقاليد تلك المناطق و هذا لعدم احتكاكهم بالتطور الحضاري الحاصل و بقاءهم على أصولهم التي تتجلى في الفلاحة و الزراعة وكذا القيم الاجتماعية التي تعود إلى عهد أجدادهم.

في بحثنا هذا التقينا بأناس رغم جهلهم العلمي إلى أنهم يعرفون عن الأخلاق و التربية ما لا علم لنا به و هم يقدرون الغريب ويحترمونه و يحاولون مساعدته، كما أنهم ودودون، ورغم الاختلاف الذي شاهدناه في تلك المناطق إلى أنها تتقاسم كلها في حسن الضيافة.

المناطق التي زرناها في بحثنا الميداني هذا هي: برباشة، خراطة، توجة، سدي عيش و صدوق، وقراها وهذه عن مناطق بجاية و أما عن مناطق تزي وزو فهي: بني دوالا، لأربعاء ناثي راثن، وأخيرا منطقة ذراع الميزان.

أثناء هذا البحث عرفنا القيمة الحقيقة لمعنى جمع تراث ثقافي من الضياع و هو يعد الهوية الحقيقية لهذا المجتمع، ولذلك حاولنا جاهدين جمع بما يمكن من نصوص الأمثال الشعبية القبائلية التي تجسد ذلك التراث الحي و المهدد بالزوال.

إن ما يمكن قوله حول هذا البحث الميداني رغم قصره و قلة الإمكانيات البشرية والمادية المسخرة إلا انه قد سمح لنا بان نكون على احتكاك مباشر بالثقافة القبائلية و المجتمع القروي الذي يسكن أعالي جبال تلك المناطق، لنفهم أساليب عيشهم و طرق تفكيرهم.

وما أود أن أضيفه حول هذا البحث انه لا يقتصر على الأدب بل يشمل جميع فروع الإنسانية لأنه يحاول إنقاذ ما تبقى من تراث محاه التطور التكنولوجي، ولقد نسينا أن العودة إلى الأصول فضيلة.

4الجمع والتصنيف:

يتعلق الأمر بالأمثال الشعبية القبائلية و سنحاول تقديم ترجمة إلى اللغة العربية الفصيحة كما سنقدم لها مقابلتها من الأمثال الشعبية العربية مع ذكر موردها إن وجد ومضربها وسنقوم بتصنيفها حسب المواضيع التي تعالجها في الجدول التالي:

لمثل القبائلي	الترجمة إلى العربية	المضرب و المورد	الموضوع
"وين أنشفارا فالخير أذير أرطال	الذي لا يتذكر الخير يرد الدين.	النص يحثنا بفعل الخير في الحياة أو على الأقل رد الدين إلى أهله لأن ذلك يعزز العلاقات بين أفراد المجتمع ويغرس قيم التعاون والمساعدة والتضامن بينهم.	فعل الخير
"وين إسحفظن أخير من إديتكان	الذي يعلم خير من الذي يعطي.	يضرب هذا المثل للدلالة على قيمة اجتماعية ونفسية تحث على العمل وتجعله السبيل إلى النجاح في الحياة	

		وكذلك يقر المثل بالتعلم لأن ذلك يجعل الناس تكتسب حرفا تساعدهم في الحياة.	
أحقار فاكس ناغ كساس	المتكبر قدم له أو انزع له	فهذا المثل الشعبي يضرب ليبين لنا أن معاملة هذا الصنف من الناس يعود بالسوء على صاحبه لذلك يجب الابتعاد من هذا النوع من البشر وهذا ما يبينه نص هذا المثل.	التكبر
وين ابغان امان اديفغ غر تالة	من أراد الماء يخرج إلى المنبع	يضرب هذا المثل ليدل على الإنسان الذي يريد الوصول إلى شيء عليه بالعمل والاجتهاد	العمل و فضله و ضرورة الاجتهاد فيه
امغبون ذ وين اورنسعي راي	الفقير هو من لا رأي له	يضرب هذا المثل على الإنسان الذي لا كلمة ولا	الرجولة

		رأي له في المجتمع	
ثمديث ادقرن مدن لعسلما	في المساء يقول الناس مساء الخير ومقابله الأمثال الشعبية العربية هو لخبر يجيبوه التوالى	يضرب هذا المثل بغية تحذير الإنسان من شر العواقب التي تعود على صاحبه	عاقبة الخواتم
ذا غيول اديجان ثضتا	الحمار هو الذي أورث الضحك	يضرب على الإنسان الذي يضحك كثيرا و لأتفه الأسباب، وهذا هو معناه ومغزاه العام الذي يأتي فيه نص المثل هذا	الضحك بلا سبب من قلة الأدب
وين ايشان ايشا وين اورنشي ثاربويث ثتواكس	الذي أكل أكل و الذي لم يأكل فالطعام قد نفذ ومقابله من الأمثال الشعبية العربية هو: لي فاتوا لكلام يقول سمعت و اللي	يضرب هذا المثل للدلالة على قيمة الوقت	الوقت

	فاتوا لطعام يقول شبعت		
إظ اسيزمرن ذ لفجر	الليل يخشى الفجر	يضرب هذا المثل للدلالة على أن لكل شيء نقطة ضعف، حتى الليل فهو يهاب الفجر الذي يأتي معه النور ليذهب ظلام الليل الحالك.	المخلوق دون قدرة الخالق
ذي ديق ايتفان ورڤاز وين اصبرن ايلاز	وقت الشدة يظهر الرجل الذي يصبر على المحن و الضيق	و يضرب هذا المثل ليظهر المعنى الحقيقي لرجولة و المروءة و ليبين أن وقت المصاعب و الشدائد وحده كفيل بأن يظهر معدن الرجل الحقيقي و يبين مدى رجولته.	القيم الرجولية
"ڵقلَّه يزڤزنْ إقرَّانْ محند ذَارڤازْ".	قلة الرجال هو ما جعل من محند رجلا".	يضرب هذا المثل في الغالب على الشخص الذي تنافي أعماله وأقواله وسلوكا ته الرجولة والمروءة وليدل على قبح أعماله وسوء تصرفاته كما يضرب للدلالة عن رجل	الرجولة

		لا مكان له بين الرجال فلا راي له في المجتمع.	
أَعْبُّوظْ أَرْغِيبْ وِينْ إِتْتبعنْ أُويْسعُويَرَا أَحْبِيبْ	البطن لا يشبع فمن تبعه لن يكون له صديق	و يضرب هذا المثل عادة على الإنسان الذي لا قناعة له في الحياة ومتاعها من أكل وشرب ومال، فتراه يجري ويجري وراء أشياء دنيوية	الطمع
"اذفل يكاث ذ ڤـوذرار سميس ڤـسواحل	الثلج يسقط فوق قمم الجبال و البرد يكون في السواحل.	يضرب هذا المثل هو أن الإنسان سيتحمل نتائج أعماله ولو بعد مكانه أو زمانه.	عودة العمل على صاحبه
"سكْسُو يزْوَارْ ثَزَاليثْ	الكسكس يسبق الصلاة	وهذا المثل مرتبط بقصة شخص كان لا يأكل حتى يقيم الصلاة و في يوم من الأيام بعد ما أنهى صلاته، وفاته المنية و بعد ذلك اتبع احد أقاربه عكس ما كان يفعله الشخص الأول فكان	الانشغال بالأمور الدنيوية و ترك الآخرة

		لا يصلي حتى يأكل خوفا من أن يموت و هو فارغ البطن لأن في عادات منطقة القبائل ومعتقداتهم أن من يموت و هو ممتلئ البطن خير من موته جائعا، لذلك يضرب المثل على الإنسان الذي يكون طعامه أغلى ما لديه.	
"وين يلان أذلفاهم يفهم، وين يلان ذغيول أذيوهم".	العاقل يفهم، والحمار يبقى يفكر، ومقابل هذا المثل في الأمثال الشعبية العربية هو الفاهم يفهم بالغمزة والبهيم يفهم ب بالدبزة	يضرب هذا المثل على الإنسان الذي يكون ثقيل الفهم .	الحمق
"سوفغيثن ألسان أرويزري حد غ فاشوا نسان	كول واش تحبّ ولبس واش يحب الناس	يضرب المثل للدلالة على أن وجوب الاعتناء بالهيأة الخارجية للإنسان	المظاهر
"مايَف مايَف	الإنسان الذي	ويضرب هذا المثل في	عودة العمل

وين إخذمن كرا أثياف	يعمل عملا سيعود عليه و كمقابل لنص المثل هذا في الأمثال العربية: من جدّ وجد ومن زرع حصد.	الشخص الذي مهما ارتكب من ذنوب أو محاسن فسوف يأتي يوم أين يجني ثمار ما ارتكبه خيره ودنيئه مهما طال الزمن.	على صاحبه
بو يلس مدن اك ينس	الذي يملك اللسان الحلو يملك قلوب الناس، ومقابل هذا المثل هو اللسان الحلو يرضع اللبة	و هذا المثل يحمل معنى أن الإنسان الذي يعرف كيف يتكلم مع غيره فيحترم الصغير و الكبير و يكون متفهما يكون دائما محبوب بين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.	آداب الكلام
أدونيث ام أثرڤـيث	الدنيا كالحلم	و هذا المثل يحمل معنى أن الإنسان عليه أن يعرف أن الحياة الدنيا ستزول و تنتهي لذلك ينبغي عليه أن يكون واقعيا لا أن يكون حالما ولا ساعيا وراء لذات وشهوات	الدنيا

		الدنيا الفانية فالمثل يضرب للتوجيه الإنسان و نصحه بعدم الانشغال الكبير و المفرط بالدنيا و ما فيها	
انفـڤـي يون واس ذفساس انفـڤـي يال واس ذمساس	ضيف نهار واحد ثمرة تين و ضيف كل نهار ثقيل.	يضرب هذا المثل على الإنسان الذي يثقل على الآخرين ولا احد يطيقه لغلاضته و سوء تصرفه لأنه لا يحترم قواعد وأصول أدب الزيارة وسائر القيم الاجتماعية.	آداب الزيارة
أقموش ذمڤـر إيفاسن ذنڤـر	الفمّ منجل واليدين (كارثة) نعني بها موت وخلاص	ويضرب هذا المثل على الإنسان الصعب المزاج وشديد الغضب وسريع الهيجان فيكنى بها المثل الذي يحمل معاني التعصب والغضب الشديد، فلسانه منجل ويده تعدم.	الغضب والمزاج الصعب.
"أخاميس أورذا سيزمير، لجامع يطفاس أمزير	مشاكله الخاصة لا يقدر على حلها و يريد حل	ويضرب هذا المثل على الإنسان الذي يترك أعماله ومشاكله ليهتم بأعمال	الاهتمام بشؤون الآخرين.

	مشاكل غيره و هذه ترجمة لمعنى المثل لا ترجمة حرفية.	ومشاكل الآخرين فالمثل كناية عن هذا الشخص الذي يهتم بغير أموره.	
"أرڤاز كان ذرڤاز	الرجل هو رجل"	يحمل هذا المثل معنى ودلالة هي تقوم بمكانة الرجل الحقيقي، فهذا المثل يعطي احتراما وقدرا كبيرا للرجولة.	الرجولة
"أزڤر أملال تسمت أكْ	الثور الأبيض يكون مليء بالشحم	وهذا المثل عبارة عن وصف في معناه الظاهري، فهو وصف للنور الأبيض الذي يشبه الشحم.	الوصف
غُر ربِّي فرانت أكْ	عند الله كل شيء له حل	وهذا المثل يبيّن عظمة الله، وأنّ كل مشاكل الدنيا ومصاعبها محلولة عند الله، فهو على كل شيء قدير، وليس عليه بعسر فكل شيء عنده يسر.	علم الله الواسع

"ذ طبيب اڤـتذاوين معنى ذ ربي اڤـسوجاين	الطبيب هو الداوي لكن الله هو الشافي	وهذا المثل يمثل إيمان الناس بأنّ الله عزّ وجلّ هو الشافي العافي من كل الأمراض والأسقام والمحن، فهو يجسد قدرة الله وعظمته.	قدرة الله
"إملاقا موخنزيز ذ مولدّا أذيرن أزطا	اتفقا صاحب اللعاب مع صاحب السعال لنسج القماش.	وهذا المثل يضرب حين يتّفق شخصان لهما نفس الخصائص وعدم الكفاءة على القيام بعمل على إنجاز هذا الأخير، حتى أنهما يعلمان أنهما لا يملكان الكفاءة لذلك.	التشابه في الصفات
إكاث أفطيس إحفظ ميس	بالمطرقة وابنه يتعلم	ومرادفه في اللغة الفرنسية من الأمثال هو: « tel père tel fils ». وكثيرا ما نرى أن هذا النوع من الأمثال يحاور	التشابه بين الآباء و الأبناء

		العقل بالمنطق ويعرض له الأشياء بغية تبسيطها، فنص هذا المثل يخبرنا على أن الأب والابن غالبا ما يكونان متشابهان في كثير من الصفات والسلوكات سواء في العمل أو التصرف.	
اكرا وين سلمذغ ثزليث يزوريي غ لجامع	كل من علمته الصلاة سبقني إلى المسجد	ويضرب المثل على الإنسان الذي يقدم النصائح لغيره وينسى نفسه، وهذا المثل يبين فضل الصلاة على العباد وأهميتها، كما يبين تأثر الثقافة الأمازيغية بالإسلام وقيمه السامية.	فضل النصيحة
"إيطيج نمغرس اسبغ ڤ غس	شمس مارس تصبغ العظام	هذا المثل يضرب لدلالة على حرارة شهر مارس	حرارة الجو